سورة مريم

مكية وآياتها ثمان وتسعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

اللغـــة :

(وهن) : في المصباح : « وهن يهن من باب وعــد ضعف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن ، ووهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدّى في لغة فهو موهون البدن والعظم والأجود أن يتعدى بالهمزة فيقال : أوهنته والوَهَن بفتحتين لغة في المصدر ووهن يهن بكسرتين لغة قال أبو زيد : سمعت من الأعراب من يقرأ فمــا وهنوا » وفي القاموس وغيره : وهنه يهنه وهْناً وأوهنه أضعفه ووهن وأوهن الرجل دخل في الوهن من الليل ووهَن ووهِن يهن ووهُن يوهُن وهناً ووَهَناً ووهِن يوهَن وَهَناً ضعف في الأمر أو العمل أو البدن وتوهّن البعير

اضطجع والطائر أثقل من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض والوهْن مصدر ومن الرجال أو الإبل : الغليظ القصير والوهْن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه والموهن من الليل كالوهن ، والوهنانة من النساء الكسلى عن العمل تنعماً .

(الموالي) : الذين يلونني في النسب كبني العم والموالي جمع مولى وهو العاصب .

(عاقراً) : لا تلد ، قال في القاموس : عقرت تعقِر عَقْراً وعُقْراً وعُقاراً وعقُرت تعقُر عُقْراً وعَقارة وعِقارة وعُقرت المرأة أو الناقة صارت عاقراً أي حبس رحمها فلم تلد وعُقر عْقراً الأمر لم ينتج عاقبة وعقِر عَقَراً الرجل دهش » .

(ولياً) : ابناً وهو أحد معانيه الكثيرة .

الاعراب :

(كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده زكريا) كهيعص تقدم القول في فواتح السور واعرابها ومعانيها فارجع اليه وذكر خبر لمبتدأ محذوف أي هذا المتلو عليك من القرآن أو مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليك ذكر ، ورحمة ربك مضافة لذكر من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل مستتر أي ذكر الله رحمة عبده زكريا وعبده مفعول به لرحمة وزكريا بدل من عبده أو عطف بيان له . (إذ نادى ربه نداء خفياً) إذ ظرف لما مضى من الزمن وهو متعلق برحمة ربك أي رحمة الله إياه وقت أن ناداه وقيل العامل فيه ذكر وقيل هو بدل اشتمال من زكريا ، وجملة نادى مضاف اليها الظرف والفاعل مستتر تقديره هو ونداء

مفعول مطلق وخفياً صفة • (قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً) ربي منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وان واسمها وجملة وهن العظم خبرها ومني حال واشتعل عطف على وهن والرأس فاعل وشيباً تمييز محول عن الفاعل أي انتشر الشيب في رأسي وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة • (ولم أكن بدعائك رب شقياً) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وأكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم واسمها مستتر تقديره أنا وشقياً خبرها وبدعائك متعلقان بشقياً ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة • (وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً) وإني عطف على إني وهن والياء اسم ان وجملة خفت خبرها والموالي مفعول به ومن ورائي متعلقان بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي ولا يجوز أن يتعلق بخفت لفساد المعنى ووجه فساده أن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل فلو جعل من ورائي متعلقاً بخفت لزم أن يكون الخوف واقعاً في المستقبل أي بعد موته وهو كما ترى ، ظاهر الفساد وعبارة الزمخشري : « من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي أو خفت الذين يلون الأمر من ورائي ، وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعجزوا عن إقامة أمر الدين • فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه ، والثاني أن يكون بمعنى قدّامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفّوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوّ واعتضاد • وقال ابن هشام في المغني « الثاني قوله تعالى : وإني خفت الموالي من ورائي ،

فإن المتبادر تعلق من بخفت وهـو فاسد في المعنى والصواب تعلقه بالموالي لما فيه من معنى الولاية أي وخفت ولايتهم من بعدي وسوء خلافتهم أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم أي كائنين من ورائي أو فعل الموالي من ورائي وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور • وكانت امرأتي عاقراً الواو عاطفة وكان واسمها وخبرها • (فهب لي من لدنك ولياً) الفاء الفصيحة أي وإلا فهب لي ، وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك حال ووليا مفعول به لهب • (يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضياً) جملة يرثني صفة لولياً ولذلك رفعت وقرىء بالجزم على أنه جواب الطلب ويرث عطف على يرثني ومن آل يعقوب متعلقان بيرث ومفعول يرث محذوف تقديره الشرع والحكمة والعلم لأن الأنبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبراً ويرث من آل يعقوب الملك فعلى هذا تكون الياء في يرثني منصوبة بنزع الخافض أي يرث مني الحبورة ، واجعله فعل دعاء وفاعل مستتر ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ورضياً مفعول به ثان لاجعله •

وقد استشكل بعضهم جملة يرثني صفة بناء على أن نبي الله يحيى مات قبل والده بأن دعاء النبي قد يتخلف وذلك لأنه بموته قبله لم يرثه ومعلوم ما يورث من الأنبياء ورأى هذا المستشكل أن الجملة مستأنفة لا صفة وأجيب بأن دعاء الأنبياء قد يتخلف وقد وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه سأل في ثلاثة أمور فاستجيب له في اثنين وتأخرت الاجابة في الثالث وقد اعترض القول بالاستئناف بأن مفاد الجملة حينئذ الإخبار واخبار الانبياء لا يتخلف قطعاً وأجيب بأن هذا الاخبار باعتبار غلبة الظن لأن نبي الله زكريا لما كان مسناً غلب على

ظنه أنه متى وهب له ولـد يرثه • هـذا وقد ذكر الجلال السيوطي الإشكال في كتاب شرح عقود الجمان وذكر مثل الجواب الذي أوردناه آنفاً ثم قال : « وأجاب الشيخ بهاء الدين بأن المراد إرث النبوة والعلم وقد حصل في حياته » • قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » ورواه البزاز بلفظ نحن معاشر الخ وتمام الحديث : « ما تركناه صدقة » ونصب معاشر على الاختصاص بفعل محذوف وجوباً تقـديره أخص وما تركناه ما موصولة في محل رفع بالابتداء وتركنا صلته والعائد محذوف أي تركناه وصدقة خبر ما ، والحكمة في أن الانبياء لا يورثون انه وقد وقع في قلب الانسان شهـوة موت مورثه ليأخذ ماله فنزّه الله أنبياءه وأهاليهم عن ذلك ولئلا يظن بهم مبطل انهم يجمعون المال لورثتهم ولأنهم كالآباء لأمتهم فيكون مالهم لجميع الأمة وهو معنى الصدقة العامة وأما قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » وقوله « وورث سليمان » فالمراد الوراثة في العلم والنبوة وبهذا يندفع أن عدم الإرث مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل إن الله أخبر عن بعضهم بقولـه : « واني خفت الموالي » إذ لا تخاف الموالي على النبوة أجيب بأنه خاف من الموالي الاختلاف من بعده الرجوع عن الحق فتمنى ولداً نبياً يقوم فيهم • بقي هنا شيء لا بد من التنويه به وهو أن الانبياء هل يرثون ؟ قال صاحب التتمة : إن النبوة مانعـة من الارث وذكر البزاز الواعظ انـه روي : نحن معاشـر الأنبيـاء لا نرث ولا نورث ويعارضـه ما ذكر الماوردي في الاحكام السلطانية أنه صلى الله عليه وسلم ورث من أبيه أم أيمن الحبشية واسمها بركة وخمسة جمال وقطعة من غنم ومولاه شقران واسمه صالح وقد شهد بدراً وورث من أمه دارها ومن خديجة دارها •

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون عديدة نوجز القول فيها :

١ ــ الاحتراس في قوله « نداء خفياً » وقد تقدم القول فيه وانه عبارة عن أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل أو لبس أو إيهام فيفطن لذلك حال العمل فيأتي في صلب الكلام بما يخلصه من ذلك كله وقد تقدمت أمثلة عديدة منه كما ستأتي له نظائر مشبهة وهو هنا في كلمة خفياً فقد أتى بها مراعاة لسنة الله في إخفاء دعوته لأن الجهر والاخفاء عند الله سيان فكان الأولى به أن يحترس مما يوهم الرياء أمام الناس الذين يحكمون على الظاهر ويجهلون حقيقـة الدخائل أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبرة والشيخوخة ودفعاً للفضول الذي يطلق الألسنة بمختلف أنواع المـلام وقيل احترس من مواليه الذين خافهمْ وقيل ليس في الأمر احتراس وانما الكلام جار على حقيقته لأن خفوت صوته ناتـج عن ضعفه وهرمـه حيث يخفت الصوت ويكل اللســان وتعشى العينــان وتثقـل الآذان على حـــدّ قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانـــين وبلغتهـــا   قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقد قيل في صفات الشيخ « صوته خفات ، وسمعه تارات » .

٢ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « واشتعل الرأس شيباً » شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإثارته وانتشـاره في الشعر وفشوه فيـه وأخـذه منـه كل مأخذ ثم أخرجـه مخرج الاستعارة المكنية وأسند الاشتعال الى

مكـان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزاً ولـم يضف الرأس أي لم يقل رأسي اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة ونزيد عـلى ذلك وجوه الشبه الأربعة الكامنة في هذا الخيال البعيد ، وهي :

آ ـ السرعة : وذلك أن النار حين تشتعل وتندلع ألسنتها فإنها تسرع في التهام ما تمتد اليه وهكذا الشيب لا يكاد يخط الرأس حتى يمتد بسرعة عجيبة •

ب ـ تعذر التلافي : وذلك أن النار إذا شبت وتدافع شؤبوبها وتطاير لهيبها اجتاحت كل ما تصادفه وذل لها الصخر والخشب على حد قول أبي تمام :

لقـد تركت أمير المؤمنين بها   للنار يوماً ذليل الصخر والخشب

فيعنو لها الصخر ويذل الخشب ويستلسم لشؤبوبها كل ما يناله دون أن تجدي في ذلك حيلة وقد يتعذر على رجل الاطفاء إخماد لهيبها وكثيراً ما يصبح الماء بمثابة الحطب الذي يذكيها وكذلك الشيب ينتشر بسرعـة غريبة في أجزاء الرأس ويتمادى في سرعته بحيث يتعـذر بل يستحيل تلافيه ، وكثيراً ما يجنح الذين أصيبوا بالشيب الى تغطية شيبهم بالأصابيغ الكاذبة ليخفوا حقيقتهـم وليستهووا قلوب الغانيات فلن يبدل ذلك شيئاً من الواقع الراهن •

جـ ـ الألم : وكما أن النار لـذاعة كواءة تؤلـم من تلامسه فكذلك الشيب يؤلم الأشيب وقد صدت عنه الغواني واقتحمته العيون على حد قول ابن الرومي :

وكنت جلاء للعيون من القذى
فقد أصبحت تقذي بشيبي وترمد

هي الأعين النجل التي كنت تشتكي
مواقعها في القلب والرأس أسود

وقول أبي تمام :

يا نسيب الثغام ذنبك أبقى
حسناتي عند الحسان ذنوبا

لو رأى الله أن في الشيب خيراً
جاورته الأبرار في الخلد شيبا

وجميع ذلك منقول عن عمر بن أبي ربيعة :

رأين الغواني الشيب لاح بعوارضي
فأعرضن عني بالخدود النواضر

ويرحم الله شوقياً عندما جلس على ضفاف البردوني في زحلة واستمع الى وشوشات الحلي ووسوسات الأساور وألفى نفسه يرتقي الى السبعين فصرخ :

شيعت أحلامي بقلب باكِ ولمست من طرق الملاح شباكي
ورجعت أدراج الشباب ووِرده أمشي مكانهما على الاشواك

وبجانبي واه كأن خفوقــــه لمّـــا تلفت جهشـــة المتباكي

د ـ المصير : وكما أن مصير النار بعد أن تفعل أفاعيلها وتبلغ غايتها الخمود والانطفاء فالرماد كذلك مصير الانسان وناهيك بهــذا المصير إيلاماً للنفس وارتماضاً للقلب فهــذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به فتأمل هذا الفصل ، فله على سائر الفصول الفضل .

هــذا وقد أوجزنا القول في عــدم إضافة الرأس بالاكتفاء بعلم المخاطب ولا بد من ايضاحه الآن فنقول أن للاستعارة مطلوبات ثلاثة : المبالغة في التشبيه والظهور والايجاز وكل استعارة تتناول واحداً من هذه المطلوبات أما هذه الاستعارة فقد تناولت المطلوبات الثلاثة بكاملها فإن الكلام أن يقال : شيب الرأس ولو جاء الكلام كذلك لأفاد الظهور فقط دون المبالغــة واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميــع نواحي الرأس كما انك إذا قلت : اشتعلت نار البيت صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته بخلاف ما إذا قلت اشتعل البيت ناراً فإن مفهوم ذلك اشتمال النار على كل البيت بجميع أجزائه فتنبه لهــذا الفصل وإن طال بعض الطول فإنه كالحسن غير مملول .

هذا وقد اقتبس ابن دريد اشتعال الرأس شيباً فقال في مقصورته:

واشتعـــــل المبيض في مســـــودّه

مثــل اشتعــال النــار في جزل الغضــا

هذا ولما كان الشيب عندهم عيباً قالوا : هو أشيب أي وصفاً عــلى غير قياس لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعــل كفرح وشرطه

الدلالة على العيوب أو الألوان وقال الشهاب الخفاجي انه على وزن الوصف من المصائب الخلقية فعدوه من العيوب،ولأبي الحسن الزوزني:

كفى الشيب عيباً ان صاحبه إذا
أردت به وصفاً له قلت أشيب

وكان قياس الأصل لو قلت شائبا
ولكنه في جملة العيب يحسب

فشائب خطأ لم يستعمل •

هذا وفي قوله واشتعل الرأس شيباً فن الإطناب فقد انتقل أولاً من شخت الدال على ضعف البدن وشيب الرأس إجمالاً الى هذا التفصيل لمزيد التقرير ، وثانياً من هذه المرتبة إلى ثالثة أبلغ منها وهي الكناية التي هي أبلغ من التصريح ، وثالثاً من هذه المرتبة الى رابعة أبلغ في التقرير وهي بناء الكناية على المبتدأ أي قولك : أنا وهنت عظام بدني ، ورابعاً من هذه المرتبة الى خامسة أبلغ وهي إدخال إن على المبتدأ أعني قولك إني وهنت عظام بدني ، وخامساً الى مرتبة سادسة وهي سلوك طريق الاجمال ثم التفصيل أعني إني وهنت العظام من بدني ، وسادساً الى مرتبة سابعة وهي ترك توسيط البدن لادعاء اختصاصها بالبدن بحيث لا يحتاج الى التصريح بالبدن ، وسابعاً الى مرتبة ثامنة وهي ترك جمع العظم إلى الإفراد لشمول الوهن العظام فرداً فرداً •

٣ ـ التجريد :

وذلك في قوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من

آل يعقوب » وقد قدمنا القول فيه مختصراً وسنورده الآن مستوفى :
فنقول ان التجريد هو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله له فيها مبالغة لكمالها فيه كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة وهو أقسام :

أ ــ أن يكون بمن التجريدية كقولهم لي من فلان صديق حميم ومنه الآية الكريمة ومثله للقاضي الفاضل في وصف السيوف :

تمدا إلى الأعداء منها معاصماً فترجع من ماء الكلي بأساور

ب ــ أن يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قول ابن هانىء :

وضربتمُ هام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر

وقال أبو تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بغرة فتحت لنا باب الرجاء المقفل

بأتم من قمر السماء وإن بدا بدراً وأحسن في العيون وأجمل

وأجل من قس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد •

حـ ــ أن يكون بدخول في على المنتزع منه أو مدخول ضميره كقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » أي في جهنم وهي دار الخلد ولكنه انتزع منها داراً أخرى للمبالغة وقال المتنبي :

تمضي المواكب والأبصار شاخصة

منها الى الملك الميمون طائر

قد حرن في بشر في تاجه قمر في درعه أسد تدمى أظافره

فإن الأسد هو نفس الممدوح ولكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والصولة .

د ـ أن يكون بدخول بين كقول ابن النبيه :

يهتز بين وشاحيها قضيب نقا حمائم الحلي في أفنانه صدحت

هـ ـ ومنها أن يكون بدون توسط شيء كقول قتادة بن سلمة الحنفي :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

عني بالكريم نفسه فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه ولذا لم يقل أو أموت ، ولأبي تمام :

ولو تراهم وإيانا وموقفنا

في موقف البين لاستهلالنا زجل

من حرقة أطلقتها فرقة أسرت

قلباً ومن غزل في نحره عذل

وقـــد طوى الشوق في أحشائنا بقــراً

عينـــاً طوتهن في أحشائهـا الكلـــل

ومراده بالبقر العين الذين أخبر عنهم أولاً بقوله ولو تراهم فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها .

ز ـ ومنهـا أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخـر مثله في الصفة التي سيق الكلام لها ثم يخاطبه كقول أبي الطيب :

لا خيـــل عندك تهـديها ولا مـــال

فليسعـد النطق إن لم يسعد الحـــال

فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقـد الخيل والمال ومنه قول الأعشى :

ودّع هريرة إن الركـــب مرتحـــل

وهـــل تطيق وداعاً أيهـــا الرجـــل

وقال أبو نواس وأبدع متغزلاً :

يا كثـــير النوح في الدمن   لا عليهـا بل عـــلى السكن

ســـنة العشّاق واحـــدة   فـإذا أحببـــت فاســـتكن

ومراده الخطاب مع نفسه ولذلك قال بعده :

ظن بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظنن
بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن
رشأ لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

هذا والتجريد كثير في الشعر وستأتي أمثلة منه في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

اللغـــة :

(سمياً) : السمي : المسمّى وهو فعيـل بمعنى مفعول وأصله سميو اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء أي مسمى بيحيى قال الزمخشري : « وهذا شاهد على أن الاسامي السنع جـديرة بالاثرة وإياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونهـا أنبه وأنوه وأنزه عن النبز حتى قـال القائـل في مدح قوم :

سنـع الأسامي مسبـلي أزر حمر تمس الأرض بالهـدب

انتهى كلام الزمخشري وسنع الاسامي أي أسماؤهم حسنة يقال سنع الرجل كظرف فهو سنيع أي جميل وأسنع والمرأة سنعاء وسنع جمع أسنع كحمر في جمـع أحمر من السناعة وهي الجمال كما أفاده في الصحاح أي أسماؤهم حسنة فهي أنبه وأنوه وأنزه عن النبز والحمر صفة الأزر وتمس صفة أخرى لها وهدب الشيء طرفه والمناسب للمعنى أن المراد به الجمع ويمكن أن تكون ضمته مفرداً كقفل وجمعاً كفلك ويجوز أنه اسم جمع ولذلك جاء في واحـده هدبه ، ومس الأرض بالأطراف كناية عن طولها بل عن غناهم وقيل معنى السمي المثل والشبيه والشكل والنظير كما في القاموس وغيره فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في أسمائهم يعمر ويعيش إن كانت التسمية عربية وقد سموا بيمـوت أيضاً وهو يموت بن المزرع وقيـل هو ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة .

(عتياً) : في المختار : « عتا من باب سما وعتياً أيضاً بضم العين وكسرها وهو عات فالعاتي المجاوز للحد في الاستكبار وعتا الشيخ

يعتو عتواً بضم العين وكسرها كبر وولى » وقال الزمخشري : « أي بلغت عتياً وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في السن العالية أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتياً »

(آية) : علامة على حمل امرأتي .

(المحراب) : في القاموس : « المحراب : الغرفة ، وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس » وأما المحراب المعروف الآن وهو طاق مجوف في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محراباً اصطلاح للفقهاء ، هذا ما قاله الشهاب في حاشيته على البيضاوي ولكن المغنى اللغوي الذي ذكره الفيروزبادي ينطبق عليه وهو « مقام الإمام في المسجد » .

(الحكم) : الحكمة ومنه قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت
الى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسّبوه فألفوه كما ذكرت
ستاً وستين لم تنقص ولم تزد

والفتاة التي حكمت هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر نظرت الى حمام مسرع الى الماء فقالت :

ليت الحمام ليه إلى حمامتيه

ونصفه قديه تم الحمام ميه

فوقع في شبكة صياد فحسبوه فوجدوه ستاً وستين حمامة ونصفه ثلاث وثلاثون فإذا ضم الجميع إلى حمامتها صار مائة وشراع بكسر الشين ما يرفع وبه سمي الشراع وهو مثل الملاءة الواسعة يشرع وينصب على السفينة فتهب فيه الرياح فتمضي بالسفينة ، ويروى سراع جمع سريع وصفه به لأنه جمع في المعنى كما وصفه بوارد وهو مفرد لأنه مفرد في اللفظ وروى الحمام أو نصفه بالرفع على اهمال ليتما وبالنصب على اعمالها لأن ما الزائدة تكف ان وأخواتها ما عدا ليت فيجوز اعمالها وإلغاؤها وأو بمعنى الواو وقد بمعنى حسب فهي اسم أضيفت الى ياء المتكلم بغير نون الوقاية كما يقال حسبي والفاء زائدة لتحسين اللفظ كفاء فقط وكلاهما بمعنى انته ، وحسبوه بتشديد السين ليسلم البيت من الخبن وهو نوع من الزحاف معيب وقيل الحكم العقل وقيل النبوة لأن الله أحكم عقله في صباه وأوحى اليه .

(وحناناً) : أي رحمة لأبويه وغيرهما وتعطفاً وشفقة وأنشد :

وقالت حنان ما أتى بك ها هنا

أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وهذا البيت لمنذر الكلبي وقبله ليتسق معناه :

وأحدث عهد من أمينة نظرة

على جانب العلياء إذ أنا واقف

يقول : وأقرب عهد أي لقاء ورؤية لأمينة محبوبتي تصغير آمنة هو نظرة مني لها بجانب تلك البقعة إذ أنا واقف هناك أي حين وقوفي بها وفيه إشعار بأنه كان واقفاً يترقب رؤيتها فلما رأته قالت له : حنان أي أمري حنان ورحمة لك وهو من المواضع التي يجب فيها حذف المبتدأ لأنه مصدر محول عن النصب وقولها : ما أتى بك هاهنا ؟ استفهام تعجبي أذو نسب أي أأنت ذو نسب أم أنت عارف بهذا الحي ويجوز أن يكون أذو نسب بدلاً من ما الاستفهامية أي ما الذي حملك على المجيء هنا أو الذي دلتك عليه صاحب قرابة من الحي أي معرفتك به ويجوز أن الاستفهام حقيقي حكته على لسان غيرها لتلقنه الجواب بقولها : أذو نسب مع معرفتها سبب مجيئه وهو حبها فربما سأله أحد من أهلها فيجيبه بأحد هذين الجوابين وقيل حناناً من الله عليه ، وحن بمعنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في الرأفة والعطف وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة .

(عصياً) : صيغة مبالغة وأصل عصياً عصيياً بوزن فعيل ادغمت الياء فيه وأتى بصيغة المبالغة لمراعاة الفواصل لأن المنفي أصل العصيان لا المبالغة فيه .

الاعراب :

(يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) يا حرف نداء وزكريا منادى مفرد علم مبني على الضم وقرىء زكرياء بالهمز على الأصل وإنا ان واسمها وجملة نبشرك خبرها والكاف مفعول به وبغلام جار ومجرور متعلقان بنبشرك واسمه مبتدأ ويحيى خبره والجملة الاسمية صفة لغلام . (لم نجعل له من قبل سمياً) الجملة صفة ثانية لغلام وله مفعول

نجعل الثاني ومن قبل حال وسمياً مفعول نجعل الأول • (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وأنى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بالاستقرار في خبر يكون ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم وغلام اسمها المؤخر وكانت الواو للحال وكانت امرأتي عاقراً كان واسمها وخبرها والجملة حالية وقد بلغت من الكبر جملة حالية أيضاً ومن الكبر متعلقان ببلغت أو بمحذوف حال من عتياً لأنه كان صفة له وتقدم عليه وعتياً مفعول بلغت ولا تلتفت الى الأعاريب التي تكلفها المعربون كاعرابها حالاً وتمييزاً ومن زائدة وهذا لا يليق بكتاب الله • (قال : كذلك قال ربك هو علي هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) قال فعل ماض وفاعله مستتر قيل يعود على الله تعالى وقيل على جبريل وكذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك أو نصب بقال أو بفعل محذوف تقديره أفعل كذلك والاشارة الى مبهم يفسره هو على هين ، وقال ربك فعل وفاعل وهو مبتدأ وعلي متعلقان بهين وهين خبر هو ولقد الواو حالية وقد حرف تحقيق وخلقتك فعل وفاعل ومفعول به ومن قبل متعلقان بخلقتك والواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتك فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر وشيئاً خبر تك وجملة ولم تك شيئاً حال متداخلة وسوف يأتي بحث الشيء بين أهل السنة والمعتزلة وبراعة المتنبي في هذا الباب • (قال ربي اجعل لي آية) رب منادى وقد تقدم اعرابه واجعل فعل أمر ولي مفعول به ثان وآية مفعول به أول • (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) آيتك مبتدأ وأن ومافي حيزها خبر

والناس مفعول به وثلاث ليال نصب على الظرف والظرف متعلق بتكلم وسوياً حال من فاعل تكلم أي حالة كونك بلا علة وسليم الأعضاء وقيل سوياً نسب على الصفة لثلاث بمعنى أنها كاملات • (فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشياً) الفاء استئنافية وخرج فعل وفاعل مستتر وعلى قومه متعلقان بمحذوف حال ومن المحراب متعلقان بخرج فأوحى عطف على خرج وأن تفسيرية لأنها وقعت بعد جملة فيها معنى القول وسبحوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وبكرة ظرف زمان متعلق بسبحوه وعشياً عطف على بكرة ويجوز أن تكون أن مصدرية مفعولة بالإيحاء • (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) يا يحيى منادى مفرد علم وخذ الكتاب فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وبقوة حال من فاعل خذ والباء للملابسة أي حال كونك ملتبساً بقوة واجتهاد وآتيناه الواو استئنافية وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به أول والحكم مفعول به ثان وصبياً حال من الهاء • (وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقياً) وحناناً عطف على الحكم أي وآتيناه حناناً أي رحمة ورقة في قلبه وعطفاً على الآخرين وقيل مفعول مطلق لفعل محذوف وهو بعيد ومن لدنا متعلقان بمحذوف صفة لحنان وزكاة عطف على حناناً وكان تقياً عطف على آتيناه وكان واسمها المستتر وتقياً خبرها • (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً) وبراً عطف على تقياً وبوالديه متعلقان ببراً ولم يكن عطف على وكان تقياً واسم يكن مستتر تقديره هو وجباراً خبرها وعصياً نعت • (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) الواو استئنافية وسلام مبتدأ وساغ الابتداء به مع أنه نكرة لتضمنه معنى الدعاء وعليه خبر ويوم ظرف متعلق بسلام وجملة ولد مضافة للظرف وما بعده عطف عليه وحياً حال •

البلاغة :

الايجاز في قوله تعالى « أنى يكون لي غلام » فظاهر الكلام يوهم أنه استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز لأحد بله النبي النطق بما لا يسوغ أو بما في ظاهره الإيهام فجاء الكلام موجزاً وتقديره هل تعاد لنا قوتنا وشبابنا فنرزق بغلام ؟ أو هل يكون الولد لغير الزوجة العاقر ؟ وإذن فالمستبعد هو مجيء الولد منهما بحالهما ولكن الجواب أزال الاشكال إذ قيل له سيكون لكما الولد وأنتما بحالكما .

الفوائد :

اختلف أهل السنة والمعتزلة في الشيء فالمعتزلة يعتقدون أن الشيء يتناول الموجود والمعدوم الذي يصح وجوده فلا يتناول المستحيل إذن أما أهل السنة فلا يتناول الشيء عندهم إلا الموجود ، والآية تشهد لأهل السنة لأن قوله « ولم تك شيئاً » صريحة في ذلك ، وقد رمق المتنبي من طرف خفي بعيد هذا الخلاف ، فاستعمله في وصف الجبان وذلك في قصيدة مستجادة له في مديح سعيد بن عبد الله بن سعيد الكلابي المنبجي وهي مما قاله في صباه قال :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

وقد غفل شراحه عن حقيقة الخلاف المشتجر بين أهل السنة والاعتزال فذهبوا في تفسير هذا البيت كل مذهب قال ابن القطاع : « قد أوخذ في هذا البيت فقيل : كيف يرى غير شيء ، وغير شيء

معدوم والمعدوم لا يرى ؟ وفيه تناقض . وليس الأمر كما قالوا بل أراد غير شيء يعبأ به » وقال أبو بكر الخوارزمي : « رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين وإنما هو من رؤية القلب يريد به التوهم وغير الشيء يجوز أن يتوهم ومثله كثير » وقال الواحدي : « إذا رأى غير شيء يعبأ به أو يفكر في مثله ظنه إنساناً يطلبه وكذلك عادة الخائف الهارب كقول جرير :

ما زال يحسب كل شيء بعدهم

خيلاً تكر عليهم ورجالا

قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقه والله من كتابهم « يحسبون كل صيحة عليهم » ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالاً عليها كقوله عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون : هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً . وقال بعض المتكلمين: إن الله خلق الاشياء من لاشيء فقيل هذا خطأ لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ومن قال إن الله يخلق من لاشيء جعل لاشيء يخلق منه والصحيح أن يقال يخلق لامن شيء لأنه إذا قال لامن شيء نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء » والصحيح ماقاله : أي إذا رأى غير شيء يخاف منه ، ومن هذا الوادي « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » معناه يريده أو يطلبه أو يغنيه عن الماء أي شيئاً نافعاً مغنياً .

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

اللغـــة :

(انتبذت) :الانتباذ الاعتزال والانفراد فقد تخلت مريم للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقـدس أو من دارها معتزلة عن الناس الناس وقيل غير ذلك والتفاصيل في المطولات وفي المصباح : « وانتبذت مكاناً اتخذته بمعزل يكون بعيداً عن القوم » .

(بغياً) : البغي : الفاجرة التي تبغي الرجـال وهي فعول عنـد المبرد أي بغوي فأدغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام « هي فعيل ولو كانت فعولاً لقيل بغوٌ كما قيل فلان نهوٌ عن المنكر » وبغت فلانة بغاء بكسر الباء ومنه قيل للإماء البغايا لأنهن كنّ يباغين في الجاهلية يقال : قامت البغايا على رؤوسهم قال الأعشى :

والبغايا يركضن أكسية الاضر   يج والشرعبيّ ذا الأذيـــال

وفي القاموس وشرحه : « بغى يبغي من باب ضرب الشيء بُغاء بضم الباء وبغياً بفتحها وبُغىً وبُغية طلبه وبغى الرجل عدل عن الحق وعصى وبغى عليه استطال عليه وظلمه فهو باغ » فلعل اطلاقهم كلمة البغاء على العهر والزنا مأخوذ من هذا المعنى لأنه من دواعي ما يطلبه أهل الخنا والفجور .

الاعراب :

﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾
واذكر الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر ومريم مفعول به وإذ: قال أبو البقاء ما نصه : في إذ أربعة أوجه أحدها أنها ظرف والعامل فيه محذوف تقديره واذكر خبر مريم إذ انتبذت والثاني أن تكون حالاً من المضاف المحذوف والثالث أن يكون منصوباً بفعل محذوف أي وبيّن إذ انتبذت فهو على كلام آخر كما قال سيبويه في قوله تعالى « انتهوا خيراً لكم » وهو في الظرف أقوى وان كان مفعولا به والرابع أن يكون بدلاً من مريم بدل اشتمال لأن الاحيان تشتمل على الجثث ذكره الزمخشري وهو بعيد لأن الزمان إذا لم يكن حالاً من الجثة ولا خبراً عنها ولا وصفاً لها لم يكن بدلاً منها وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كقولك لا أكرمك إذ لم تكرمني أي لأنك لم تكرمني فعلى هذا يصح بدل الاشتمال أي واذكر مريم انتباذها .

واضطرب قول ابن هشام فيها فبينما يقول في صدد بحثه عن إذ « الوجه الثالث أن تكون بدلاً من المفعول نحو « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت » فإذ بدل اشتمال من مريم على حد البدل في : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » يعود فيقول : « وزعم الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً اليها وأنها في نحو « واذكروا إذ كنتم قليلا » ظرف لمفعول محذوف أي واذكروا نعمة الله إذ كنتم قليلاً ، وفي نحو إذ انتبذت ظرف لمضاف الى مفعول محذوف أي واذكر قصة مريم .

وقال شهـاب الدين الحلبي المعروف بالسمين : « في إذ أوجه أحدها أنها منصوبة باذكر على أنها خرجت عن الظرفية إذ يستحيل أن تكون باقية على مضيها والعامل فيها ما هو نص" في الاستقبال والثاني أنها منصوبة بمحذوف مضاف لمريم تقديره واذكر خبر مريم أو نبأها إذ انتبذت فإذ منصوبة بذلك الخبر أو النبأ ، الثالث أنها بدل من مريم بدل اشتمال قـال الزمخشري : لأن الأحيان مشتملة عـلى ما فيها لأن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها لوقوع هذه القصة العجيبة فيه »

وجملة انتبذت مضافة إلى إذ ومن أهلها حال ومكاناً ظرف متعلق بانتبذت أي في مكان وشرقياً نعت ويجوز أن يعرب مكاناً مفعولاً به عـلى أن معنى انتبذت أتت ، ونص المصباح يؤيـد كونه مفعولاً به فتأمله في باب اللغة . (فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) الفاء عاطفة واتخذت فعل ماض وفاعل مستتر ومن دونهم مفعول به ثان وحجاباً مفعول به أول فأرسلنا عطف عـلى فاتخذت واليها متعلقان بأرسلنا وروحنا مفعول به ، فتمثل عطف أيضاً ولها متعلقان بتمثل وبشراً حال وسوياً نعت وسوغ وقوع الحال جامدة وصفها وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد . (قالت : إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) ان واسمها وجملة أعوذ خبرها والجملة مقول القول وبالرحمن متعلقان بأعوذ ومنك متعلقان بأعوذ أيضاً وإن حرف شرط جازم وكنت فعـل ماض ناقص والتاء اسمها وتقياً خبرها وجواب الشرط محـذوف والمعـنى إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائذة به منك . (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ورسول ربك خبر واللام للتعليل وأهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ولك متعلقان بأهب وغلاماً مفعول به وزكياً صفة . (قالت : أنى يكون

لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً) أنى اسم استفهام بمعنى كيف وقد تقدم اعرابه في قصة زكريا ولم يمسسني الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني مضارع مجزوم بلم والياء مفعول به وبشر فاعل ، ولم أك بغياً : لم حرف نفي وقلب وجزم وأك مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف واسم أك مستتر وبغياً خبرها • (قال كذلك قال ربك هو علي هين) كذلك خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم إعراب نظيرها • (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً) لنجعله تعليل معلله محذوف أي فعلنا ذلك أو هو معطوف على مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وآية مفعول به ثان لنجعله وللناس صفة لآية ورحمة منا عطف على آية وكان أمراً مقضياً كان واسمها المستتر وخبرها ومقضياً صفة •

الفوائد :

معنى بشراً سوياً :

تقدم بحث الحال الموطئة وانها ان تكون جامدة موصوفة وهذا أحد شروطها التي تبرر كونها جامدة وهو في الآية بشراً فهو حال من فاعل تمثل وهو الملك والاعتماد فيها على الصفة وهي سوياً وهو اسم مشتق لأنه صفة مشبهة ، وعبارة ابن هشام : « الثاني انقسامها بحسب قصدها لذاتها وللتوطئة بها الى قسمين مقصودة وهو الغالب وموطئة وهي الجامدة الموصوفة نحو فتمثل لها بشراً سوياً » واعترض بعضهم على هذا الاعراب فقال : ان دعوى الحال تقتضي أن المعنى متمثل لها في حال كونها بشراً ولايخفى انه وقت التمثيل ملك لا بشر فالأقرب انه منصوب بنزع الخافض أي فتمثل لها ببشر أي تشبه به وتصور بصورته •

واعلم أنه وقع هنا للبيضاوي مالا يليق حيث قال : « أتاها جبريل عليه السلام بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها » فقوله ليهيج الخ عبارة غير لائقة بمريم مع التحقيق أن عيسى عليه السلام كان من عالم الأمر أي أمر التكوين الممثل بقوله تعالى : « إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن تقول له كن فيكون » إذ ليس ثَم قول ولا كان ولا يكون وهذا وجه المماثلة بين عيسى وآدم في قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » أي في التكوين بالأمر من غير واسطة ولا نطفة والنفخ المدلول عليه بقوله تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » من قبيل التمثيل استعير لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها • لا حقيقة النفخ التي هي إجراء الريح الى جوف صالح لإمساكها والامتلاء بها •

ولا يصح الاعتذار للقاضي البيضاوي بأنه نظر الى العادة الإلهية الجارية بخلق المسببات عقب الأسباب لأن السبب لا بدأن يكون تاماً ونطفة المرأة وحدها ليست بسبب تام لحصول الولد وإنما تمثل لها بصورة حسنة لتأنس به ولا تنفر منه وتصغي اليه وترهف السمع لسماع البشرى وكان بصورة أمرد لإلف النساء الى الأطفال ومن قرب منهن وعدم الاحتشام منهن • أما رواية الزمخشري فهي : « وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فإذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب وضيء الوجه ، جعد الشعر ، سوي الخلق ، لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة مستوي الخلق وإنما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه ولو بدا لها في

الصورة الملكيــة لنفرت ولم تقدر عــلى استماع كلامــه » واستأنف الزمخشري كلامه فقال : « ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ، الفائقة الحسن ، وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها ، وسبراً لعفتها ، وقيل : كانت في منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت أن تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسهــا فانفجر السقف لهــا فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك » .

ونختم هذا الفصل الذي خالفنا فيه شرط كتابنا لأهميته بتذييل للشيخ عبد الرزاق الكاشي وهذا هو نصه : « إنما تمثل لها بشراً سوي الخلق حسن الصورة ، لتتأثر نفسها به فتتحرك على مقتضى الجبلة أو يسري الأثر من الخيال في الطبيعة فتتحرك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الاحتلام ، وانما أمكن تولد الولد من نطفة واحدة لأنه ثبت في العلوم الطبيعية : أن مني الذكر في تولد الجنين بمنزلة الإنفحة من الجبن ، ومني الأنثى بمنزلة اللبن : أي العقد من مني الذكر والانعقاد من مني الأنثى ، لا على معنى أن مني الذكر ينفرد بالقوة العاقدة ومني الأنثى ينفرد بالقوة المنعقدة بل عــلى معنى أن القوة العاقــدة في مني الذكر أقوى ، وإلا لم يمكن أن يتحدا شيئاً واحداً ولــم ينعقد مني الذكر حتى يصير جزءاً من الولد فعلى هذا إذا كان مزاج الأنثى قوياً ذكورياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى وكان مزاج كبدها حاراً كان المني الذي ينفصل عن كليتها اليمنى أحر كثيراً من المني الذي ينفصل عن كليتها اليسرى فإذا اجتمعا في الرحم كان مزاج الرحم قوياً في الامساك والجذب قام المنفصل من الكلية اليمنى مقام مني الرجل في شدة قوة العقد والمنفصل من الكلية اليسرى مقام مني الأنثى في قوة الانعقاد فيخلق الولد .

هذا وخصوصاً إذا كانت النفس متأيدة بروح القدس متقوية به يسري أثر اتصالها به الى الطبيعة والبدن ويغير المزاج ويمد جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني فتصير أقدر على أفعالها بما لا يضبط في القياس » .

* فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(قصياً) : بعيداً من أهلها •

(فأجاءها) : يقال : جاء وأجاء لغتان بمعنى واحد والاصل في جاء أن يتعدى لواحد بنفسه فإذا دخلت عليه الهمزة كان القياس يقتضي تعديته لاثنين إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل فصار بمعنى ألجأه الى كـــذا ألا تراك لا تقول : جئت المكـــان وأجاءنيه زيد كما تقول بلغته وأبلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل إلا في الاعطاء ولم تقل أتيت المكان وآتانيه فلان •

(المخـــاض) : وجـــع الولادة ، وفي القاموس : مخض يمخض بتثليث الخاء في المضارع مخضاً اللبن استخرج زبده فهو لبن مخيض وممخوض ومخض الشيء حركـــه شديداً ومخض الرأي قلبه وتدبر عواقبه حتى ظهر له الصواب ومخضت بكســـر الخاء تمخض بفتحها الحامل مخاضاً بكسر الميم ومخاضاً بفتحها ومخضت بالبناء للمجهول ، ومخضت بتشديد الخاء وتمخضت الحامل دنا ولادها وأخذ الطلق فهي ماخض والجمـــع مخض بضم الميم وتشديد الخاء ومواخض • وللميم والخاء مجتمعتين معنى يكاد يكون متقارباً فهي تشير الى الانزلاق ومنه مخر البحر والماء أي شقه مع صوت ومخط وامتخط معروفة •

(مت) : بكسر الميم وضمها يقال مات يمات ومات يموت •

(نسياً) : النسي بفتح النون وكسرها بمعنى المنسي كالذبح بمعنى المذبوح وكل ما من حقه أن يطرح ويرمى وينسى •

(سرياً) : السري فيه قولان : أحدهما أنه الرجل المرتفع القدر من سرو يسرو كشرف يشرف فهو سري فأعل إعلال سيد فلامه واو يقال هو سري من السراة والسروات ، قال بشامة بن حزن النهشلي :

وإن دعوت إلى جلّى ومكرمة يوماً سراة كرام الناس فادعينا

والثاني أنه النهر الصغير ويناسبه فكلي واشربي ، واشتقاقه من سرى يسري لأن الماء يسري فيه فلامه على هذا ياء ، قال لبيـد يصف حماراً وحشياً :

فمضى وقدّمها وكانت عـادة منـه إذا هي عردت أقدامها

فتوسّطا عرض السريفصدعا مسجورة متجاوراً أقـلامها

يقول إنه مضى خلف أتانه نحو الماء وقدمها أمامه واقدامها اسم كان وألحقها التاء لأنها بمعنى التقدمة وعادة خبر كانت والتعريد التأخر والجبن فتوسطا أي الحمار والأتان عرض السري أي ناحية النهر الصغير فصدعا أي شقا عيناً مسجورة أي مملوءة .

(رطباً جنياً) : الرطب بضم ففتح ما نضج من البسر قبل أن يصير تمراً والجني فعيل بمعنى فاعل أي صار طرياً صالحاً للاجتناء .

(وقري عيناً) : أي طيبي نفساً ولا تغتمي وارفضي ما أحزنك يقال قرت عينه تقر بفتح العين وكسرها في المضارع وفي وصف العين بذلك تأويلان أولهما أنه مأخوذ من القر وهو البرد وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها بارداً واذا حزن كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينك والثاني انه من الاستقرار والمعنى أعطاه

الله ما يسكن عينه فلا تطمح الى غيره وفي المصباح : وقرت العين من باب ضرب قرة بالضم وقروراً بردت سروراً وفي لغة أخرى من باب تعب •

(صوماً) : صمتاً وخيل صائمة وصيام قال :

خيل صيام وخيل غير صامتة تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وقيل المراد بصائمة وغير صائمة واقفة وغير واقفة •

وصامت الريح ركدت وصام النهار وصامت الشمس كبّدت وجئته والشمس في مصامها وشاخ فصامت عنه النساء •

(فرياً) : الفري البديع من فرى الجلد ، والفري العظيم من الأمر يقال في الخير والشر وقيل الفري العجيب وقيل المفتعل ومن الأول الحديث في وصف عمر بن الخطاب : فلم أرى عبقرياً يفرى فريه ، والفرى قطع الجلد للخرز والاصلاح ، وفي المختار : « فرى الشيء قطعه لاصلاحه وبابه رمى وفرى كذباً خلقه وافتراه واختلقه والاسم الفرية وقوله تعالى : « شيئاً فرياً » أي مصنوعاً مختلقاً وقيل عظيماً وأفرى الأوداج قطعها وأفرى الشيء شقه فانفرى وتفرى أي انشق ، وقال الكسائي : أفرى الأديم قطعه على جهة الإفساد وفراه قطعه على جهة الاصلاح » •

الاعراب :

(فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً) الفاء عاطفة على محذوف ، تقديره فنفخ جبريل في جيب درعها فحملته وسيأتي سر هذا التعقيب

في باب الفوائد فاتنبذت عطف على فحملته وبه جار ومجرور في موضع نصب على الحال وقد رمق سماءه أبو الطيب المتنبي في قصيدة يمدح بها علي بن مكرم بن سيار التميمي ويصف الخيل :

كأن خيولنا كانت قديماً تُسقّى في قحوفهم الحليبا

فمرّت غير نافرة عليهم تدوس بنا الجماجم والتريبا

يريد أن خيولهم لم تنفر منهم كأنها كانت في صغرها تسقى في قحوف رءوسهم اللبن يعنى قحوف رءوس الأعداء والعرب كان من عادتها أن تسقي كرام خيولها اللبن وقحف الرأس ما انضم على أم الدماغ ، والجمجمة العظم الذي فيه الدماغ فوطئت رءوسهم وصدورهم ولم تنفر عنهم فكأنها ألفتهم والتريب والتريبة واحدة الترائب وهو موضع القلادة ومن طريف الأخطاء أن بعضهم تصدى لشرح هذا البيت ولما لم يعرف معنى التريب قال بالحرف : والتريب والتراب لغة في التراب • زاده الله فهماً !! •

ومكاناً مفعول فيه أو مفعول به وقد تقدم وقصياً صفة • (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة) الفاء عاطفة للتعقيب وأجاءها فعل ماض ومفعول به مقدم والمخاض فاعل مؤخر والى جذع النخلة متعلقان بمحذوف حال وسيأتي السر في تعريف النخلة في باب البلاغة • (قالت : يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) يا حرف نداء والمنادى محذوف أو يا لمجرد التنبيه وليت واسمها وجملة مت خبرها وهي فعل وفاعل والظرف منصوب لأنه أضيف وهو متعلق بمت وهذا مضاف اليه وكنت الواو عاطفة وكان واسمها ونسياً خبرها ومنسياً تأكيد لنسياً لأنه بمعناه ولك أن تعربه نعتاً • (فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً) الفاء عاطفة وناداها فعل ومفعول

به وفاعل مستتر يعود على الملك أو عيسى ومن تحتها متعلقان بناداها أي في مكان أسفل من مكانها أو بمحذوف حال من فاعل أي ناداها وهو تحتها وأن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتحزني مجزوم بلا ويجوز أن تكـون مصدرية ، ولا نافية وتحزني منصوب بها وأن وما بعدها نصب بنزع الخافض المتعلق بالنداء والأول أسهل وقد حرف تحقيق وجعل ربك فعل وفاعل وتحتك ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لجعـل وسرياً هو المفعول الأول وسيأتي السر في علة انتزاع الحزن عنهـا بسبب وجود الطعـام والشراب . (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) : الواو عاطفـة وهزي فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والياء هي الفاعل وإليك متعلقان بهزي وبجذع النخلة أورده بن هشام في مغني اللبيب شاهداً على زيادة الباء في المفعول به وأكثر المعربين على ذلك ولكن الزمخشري قال بعد ذكر وجه الزيادة ما معناه : يحتمل انه نزل هزي منزلة اللازم وإن كان متعدياً ثم عداه بالباء كما يعدى اللازم والمعنى افعلي به الهز وتساقط مجزوم لأنـه جواب الطلب وعليك متعلقـان بتساقط ورطباً مفعول به وجنياً صفـة ، وتساقط يتعـدى بنفسه ومن أمثلته لا من شواهده لأن البحتري غير محتج بكلامه .

فمن لؤلؤ تجلـوه عنـد ابتسامهـا

ومن لـؤلـؤ عنـد الحـديث تساقطه

وعن المبرد أن رطباً مفعول هزي وباء بجـذع النخلة للاستعانة ولا يخفى ما فيه من التكلف بتأخير مافي حيز الأمر عن جوابه وستأتي أوجه زيادة الباء في باب الفوائد . (فكلي واشربي وقري عيناً) الفاء الفصيحة أي إذا تم لك هذا كله فكلي ، وكلي فعل أمر والياء فاعـل

وما بعده عطف عليه وعيناً تمييز من الفاعل لأنه منقول عنه إذ الأصل لتقر عينك. (فإما ترين من البشر أحداً) الفاء عاطفة وإن شرطية أدغمت نونها بما الزائدة وترين فعل الشرط وأصله ترأيين بهمزة هي عين الفعل وياء مكسورة هي لامه وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع وقد حذفت لام الفعل لتحركها وانفتاح ما قبلها فقلبت ألفاً فالتقت ساكنة مع ياء الضمير فحذفت لالتقاء الساكنين ، ومن البشر حال لأنه كان في الأصل صفة لأحداً وأحداً مفعول به . (فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقولي فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل وإن واسمها وجملة نذرت خبرها والجملة مقول القول وسيرد إشكال أجبنا عنه في باب الفوائد ، وللرحمن متعلقان بنذرت وصوماً مفعول به ، فلن الفاء استئنافية ولن حرف نفي ونصب واستقبال وأكلم منصوب بلن واليوم ظرف متعلق بأكلم وإنسياً مفعول به . (فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) الفاء استئنافية وأتت فعل وفاعل مستتر والتاء للتأنيث وبه علقه أبو البقاء بمحذوف حال أي مصحوبة به وهو جميل ولا نرى مانعاً بتعلقه بأتت وقومها مفعول به وجملة تحمله حال ثانية إما من ضمير مريم وإما من ضمير عيسى في به ، قالوا فعل وفاعل ويا حرف نداء ومريم منادى واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به أي فعلت شيئاً وفرياً نعت ويجوز إعراب شيئاً على المصدرية أي نوعاً من المجيء غريباً . (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً) يا حرف نداء وأخت هارون منادى مضاف أي يا شبيهته ، وهارون رجل صالح شبهوها به في عفتها وصلاحها وليس المراد منه أخوة النسب وقيل إنما عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله والعرب تقول للتميمي

يا أخا تميم وقيل غير ذلك مما تراه في المطولات وما نافية وكان أبوك امرأ سوء كان واسمها وخبرها وما كانت أمك بغياً عطف على الجملة التي سبقتها أي ما دمت بهذه المثابة من مظنة العفة والصلاح فمن أين لك هذا الولد ؟ (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) الفاء عاطفة وأشارت فعل وفاعل مستتر وإليه متعلقان بأشارت ، قالوا فعل وفاعل وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ونكلم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن ومن اسم موصول مفعول به وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وفي المهد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وصبياً خبر كان وقد اعتبرنا كان على بابها من النقصان ودلالتها على اقتران مضمون الجملة في الزمن الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » وقد نشب بين علماء العربية خلاف حول « كان » هنا نذكره مبسوطاً في باب الفوائد لما تضمنه من فوائد . (قال : إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً) جملة إني عبد الله مقول القول ولذلك كسرت همزة إن لوقوعها بعد القول وان واسمها وعبد الله خبرها وقد وصف نفسه بثماني صفات أولها العبودية وجملة آتاني الكتاب حالية وهذه هي الصفة الثانية والكتاب مفعول به ثان وجعلني نبياً فعل ماض وفاعل مستتر ومفعولاه وهذه هي الصفة الثالثة . (وجعلني مباركاً أينما كنت) وجعلني مباركاً عطف على وجعلني نبياً وهذه هي الصفة الرابعة وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية والجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم أي أينما كنت جعلني مباركاً وهو متعلق بالجواب المحذوف وكان تامة والتاء فاعلها ويجوز أن تكون الناقصة وأينما متعلق بمحذوف خبرها المقدم . (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) ما دمت ما مصدرية ظرفية ودمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وحياً خبرها

والمصدر المؤول نصب على الظرفية والظرف متعلق بأوصاني وهذه هي الصفة الخامسة . (وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً) وبراً بفتح الباء معطوف نسقاً على مباركاً أي وجعلني براً جعل ذاته براً لفرط بره ولك أن تنصبه بفعل مقدر بمعنى أوصاني تفادياً للفصل الطويل وهذه هي الصفة السادسة وبوالدتي متعلقان ببراً ولم يجعلني عطف على وجعلني وجباراً مفعول به ثان وشقياً صفة وهذه هي الصفة السابعة . (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) السلام مبتدأ وعلي خبره واختلف في معنى أل الداخلة على السلام فقيل هي للعهد لأنه تقدم ذكر السلام الموجه الى يحيى فهو موجه إليه أيضاً ، وقال الزمخشري : « والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود وتحقيقه أن اللام للجنس وإذا قال وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى : والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنته لنحو هذا من التعريض » ويوم متعلق بمعنى الاستقرار المتعلق به عليّ ولا يجوز نصبه للسلام للفصل بين المصدر ومعموله وجملة ولدت مضافاً اليها الظرف ويوم أبعث عطف على يوم ولدت وكذلك يوم أبعث وحياً حال وهذه هي الصفة الثامنة والأخيرة .

البلاغة :

التعريف :

وذلك في تعريف النخلة التي جاءها المخاض عندها وهذا التعريف لا يخلو إما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم عند الناس فإذا قيل

جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخيل وإما أن يكون من تعريف الجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة كأن الله تعــالى إنما أرشدها الى النخلة ليطعمهــا منها الرطب الــذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد وثمارها إنما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جميع الآيات فيها اختارها لها وألجأها اليها .

الفوائــد :

١ ـ خلاصة قصة ميلاد عيسى في القرآن الكريم :

هذا ولم يعن كتاب من الكتب الدينية بميلاد المسيح والدفاع عن طهارة والدته العذراء والإشادة بفضلها وتفضيلها على سائر النساء كما عني القرآن الكريم فقد وردت فيه عن ميــلاد المسيح عليه السلام ، وحياته وجهاده في سبيل الدعوة الى الله واصلاح البشر عدة آيات في عدد من السور وقد أتى في براءة العذراء وقنوتها بما لم تأت به كتب أخرى بل كانت السورة الثانية الكبرى من القرآن الكريم وهي سورة آل عمران ، وعمران هو والد العذراء وكان عالماً من علماء الدين ولم تأت سورة من السور باسم سيدة من سيدات التاريخ غير اسم مريم وهي تحتوي على عدة آيات في ميلاد المسيح كما وردت آيات أخرى في هذا الحادث الجليل .

ولقد اصطفى الله آل عمران كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين ، وكان عمران أبو مريم رجلاً تقياً ورعاً ، كما كانت زوجته صالحة تقية فلما حملت نذرت الى الله أن يكون حملها خادماً للهيكل فلما وضعت وتبين لها أنها أنثى ، وليس الذكر كالأنثى ، سمتها أمها مريم ولكن الله تقبلها في الهيكل بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً .

ولـم يعش عمران حتى تشب مريم وتكبر فتوفي وهي صغيرة فكفلها زوج خالتها النبي زكريا وكانت مريم صادقة مباركة يفيض الله عليها من رزقه من حيث تعلم ولا تعلـم فكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً كثيراً فيسألها قائلاً : يا مريم أنّى لك هذا فتجيبه : هو من عند الله .

وكانت مريم تتعبد في الهيكل بعيداً عن أهلها وعن الناس ، قد انتبذت مكاناً شرقياً في الناصـرة من مدينة الجليل ، وكانت مخطوبة لرجل من أبناء عمومتها اسمه يوسف النجار ولكن لم يتـم زواجهما لأنها وهبت نفسها الى الله ولكن الله تعالى شاء أن يهب الى البشر من هذه الفتاة الطاهرة الكريمة التقية نبياً كريماً ، ورسولاً عظيماً ، ويجعل منها ومن ابنها آية للناس كما قال تعالى « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » لم يتـم زواج يوسف بمريم وبعث الله جبريل فبشرها بحملها بالسيد المسيح وهي في عزلتها تعبد الله وتخلص له العبادة والتقوى فعجبت لـذلك وأجفلت وقالت : كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشـر ، فكان الجواب عليها كما جاء في القرآن ، كما صور القرآن فزع مريم في سورة « مريم » حين جاءها الملك بهذه البشارة متمثلاً لها في صورة إنسان ظهر لها في عزلتها ، على حين غرة من أمرها فاستعاذت بالله منه فهدأ من روعها وأنبأها أنه مرسل من السماء ليهب لها غلاماً زكياً فجاء في هذه السورة « واذكر في الكتاب مريم الخ الآيات » وقـد اتفق انجيل لوقا وانجيل برنابا والقرآن الكريم في حادث ولادة المسيح على أنه آية للناس ولم يكن نتيجة اتصال مريم بخطيبها يوسف النجار ، كما جاء في بعض الأناجيل الاخرى كإنجيل متى الذي نصَّ على أن « يسوع بن يوسف النجار

ابن يعقوب بن متان بن اليعاذر ، ابن اليهود بن أخيم » الى آخر هذا النسب الذي يصل الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام .

فالقرآن الكريم نزل بأن مريم عذراء وانه بعد بشارة الملك لها بهذا الغلام الزكي حملت به واتنبذت مكاناً بعيداً عن الناس ، وعانت وحدها آلام وضعه حتى تمنت الموت قبل هـذا كما جاء في القرآن الكريـم « فحملته فانتبذت به » الخ الآيات . خاطبهـا هذا الوليد الكريم في مهده وهدأ من روعها ، وطلب اليها أن تستعين على ضعفها بالرطب الجني ، والماء الهني أو خاطبها الملك .

وكان أن وقع ما خشيته مريم من اتهامها بالسوء ، فلما جاءت به الى قومها أنكروا عليها ، واتهمـوها بما هي براء منـه ، فصامت عن الكلام وتولى الطفل الصغير في مهده الدفاع عن أمه الطاهرة النقية كما جاء في القرآن الكريم .

٢ ـ أسرار الفاءات :

وعدناك أن نتحدث عن أسرار الفاءات في قوله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً فأجاءها المخاض » في هذه الفاءات دليل على أن حملها به ووضعها إياه لأنه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذي مضت اليـه والمخاض الذي هو الطلق بالفـاء وهي للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التي هي للتراخي والمهلة ألا ترى أنه قد جاء في الأخرى : « قتل الانسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره » فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها

السلام ، فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس في مدة حملها فقيل : انه كحمل غيرها من النساء وقيل : لا بل كان مدة ثلاثة أيام ، وقيل : أقل ، وقيل : أكثر ، وهذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحاً على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذاً بما دلت عليه الآية . هذا ما ورد في المثل السائر لابن الأثير ، وقد رد ابن أبي الحديد في الفلك الدائر على ذلك بما أوردناه في سورة النحل من أن التعقيب على حسب ما يصح إما عقلاً وإما عادة الى أن يقول : وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ألا ترى الى قوله تعالى : « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب » فإن العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى في قصة مريم على أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد .

قلت :

قلت : بحث ابن أبي الحديد متجه والذي قاله ابن الأثير لا يخلو من ضعف وقد اختلف المفسرون في مدة حملها فقال ابن عباس تسعة أشهر كما في سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال ابن عباس أيضاً في ساعة واحدة وقال آخر لثمانية أشهر وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات ورجح الامام الرازي انه في ساعة وقال : « ويمكن الاستدلال له بوجهين » وذكر في الوجه الاول ما قاله ابن الأثير وذكر في الوجه الثاني : « ان الله تعالى قال في وصفه : ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت أن عيسى عليه السلام لما قال الله له كن فكان وهذا مما

لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفـة » •

ومذهب الشافعية أن أكثر مـدة الحمـل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم لستة عشر شهراً وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لأربع سنين ولـذلك سمي هرماً ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين ، والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً ، ويقال انه كان يقول : اذكروا ليلة ميلادي ، ويقال : إن عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعي حمـل به أربع سنين أو أقـل ، والحنفية يقولون للشافعية : ما جسر إمامكم أن يظهر الى الوجود حتى توفي إمامنـا ، ويجيبهـم الشافعية بقولهـم : بل إمامكـم ما ثبت لظهور إمامنا •

القول الفصل في الفاء العاطفة :

والفاء في أصل وضعها للترتيب المتصل ، والترتيب على ضربين :

١ ـ الترتيب في المعنى : هو أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة كقوله تعالى « خلقك فسواك فعدلك » والأكثر كون المعطوف بها متسبباً عما قبله كقولك : أملته فمال وأقمته فقام •

٢ ـ الترتيب في الذكر : وهو نوعان : أحدهما عطف مفصل على مجمـل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهـه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى : « ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي ••• » الآية •

وتكون عطفاً لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرىء القيس : « بين الدخول فحومل » •

وتختص الفاء بعطف مالا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واواً أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد ، أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسألة لأن يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لأن شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فإن كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لأنها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لإشعارها بالسببية كأنك قلت : الذي ان يطر يغضب زيد الذباب وقد يعطف بالفاء متراخياً كقوله تعالى : « والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » إما لتقدير متصل قبله وإما لحمل الفاء على ثم .

الفاء الفصيحة :

وقد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » معناه فأفطر فعليه عدة وهذه العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني « الفاء الفصيحة » قال صاحب الكشاف في قوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله » تقديره فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله .

وقال صاحب المفتاح : « هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه كأنه قيل : نحن فعلنا الايتاء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير في القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا أسماها أرباب المعاني الفاء الفصيحة .

أما ابن الحاجب فقد قال : ان المعتبر ما يعد في العادة مرتباً من غير مهلة فقد يطول الزمان والعادة تقضي في مثله بانتفاء المهلة وقد تقصر والعادة تقضي بالعكس فإن الزمن الطويل قد يستغرب بالنسبة الى عظم الأمر فتستعمل الفاء وقد يستبعد الزمن القريب بالنسبة الى طول أمر يقضي العرف بحصوله في زمان أقل منه ، والذي يظهر من كلام الجماعة أن استعمال الفاء فيما تراخى زمانه ووقوعه من الأول سواء قصر في أولا وإنما هو بطريق المجاز » •

وقال الجرمي : لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الامطار بدليل « بين الدخول فحومل » مطرنا مكان كذا فمكان كذا إذا كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد واعترض على معنى التعقيب بقوله تعالى : « الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى » فإن إخراج المرعى لا يعقبه جعله غثاء أحوى أي يابساً أسود والجواب من وجهين :

آ ــ ان جملة فجعله غثاء أحوى معطوفة على جملة محذوفة وان التقدير فمضت مدة فجعله غثاء •

ب ــ ان الفاء نابت عن ثم والمعنى جعله غثاء وسيأتي تفصيل ذلك في حينه •

٣ ــ لماذا انقشع الحزن عنها بسبب وجود الطعام والشراب؟

ولا بد هنا من الاجابة على سؤال قد يرد فإن ظاهر الكلام يدل على أن حزنها سينقشع بسبب وجود الطعام والشراب وذلك في قوله تعالى : « فكلي واشربي وقري عيناً » ومعلوم بأن حزنها لم يكن بسبب ذلك ، ولا هو ناجم عن فقدان الطعام والشراب ولكن السر في

ذلك أن التسلية ونسيان الحزن لم يقعا بها من حيث أنهما طعام وشراب ولكن من حيث أنهما معجزة باهرة ترهص لها ، وتدحض باطل القوم وتثبت كذبهم وإرجافهم ، كما تثبت أنها من أهل العصمة والبعد من الريبة وأنها بمعزل عما قرفوها به ثم ان الامور الخارجة عن العادات لا يمكن إلا أن تكون إلهية ولحكمة نجهلها ومن ذلك ولادتها عيسى من غير فحل وهذا من عجائب الاساليب •

لماذا منعت من الكلام ؟

وهناك سؤال آخر قد يثب الى الذهن بعد هذا كله وهو : ان الله أمرها بأن تمتنع من الكلام لأمرين :

آ ـ أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها وأرهص للمعجزة وبالتالي لإزالة عوامل الريبة المؤدية الى اتهامها بما يشين •

ب ـ تشريع الكراهية لأية مجادلة مع السفهاء وقد رمق الشاعر سماء هذا المعنى فقال :

يخاطبني السفيه بكل قبح وأكره أن أكون له مجيبا

٤ ـ مواضع زيادة الباء :

آ ـ في الفاعل وزيادتها تكون واجبة في فعل التعجب الوارد على صيغة الأمر نحو أحسن بزيد وعلة الزيادة إصلاح اللفظ وإعرابه أحسن فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الصيغة وبزيد الباء حرف جر زائد وزيد فاعل

مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد وتكون غالبة وذلك في فاعل كفى التي بمعنى حسب والتي هي فعل لازم نحو كفى بالله شهيداً ولا تزاد الباء في فاعل كفى التي بمعنى أجزأ أو أغنى ولا التي بمعنى وقى والأولى متعدية لواحد نحو :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى « وكفى الله المؤمنين القتال » ٠

قال ابن هشام : « ووقع في شعر المتنبي زيادة الباء في فاعل كفى المتعدية لواحد قال :

كفى ثعلاً فخراً بأنك منهم

ودهر" لأن أمسيت من أهله أهل

ولم أر من انتقد عليه » وقد استعجل ابن هشام بهذا الحكم فقد انتقد عليه ذلك أبو البقاء في شرحه الممتع للديوان وأفاض في إعراب البيت كما انتقد المعري أيضاً ولسنا بصدد التحقيق في ذلك فلعلك ترجع الى شرح أبي البقاء والى مغني اللبيب ٠

ب ـ في المفعول به نحو قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » « وهزي إليك بجذع النخلة » وقول أبي الطيب :

كفى بجسمي نحولاً انني رجل

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

جـ ــ في المبتدأ نحو بحسبك درهم وخرجت فإذا بزيد وكيف بك فكيف اسم استفهام خبر مقدم وبك الباء حرف جر زائد والكاف في محل جر بالباء وفي محل رفع بالابتداء وقد نابت الكاف عن أنت لدخول حرف الجر والمعنى كيف أنت إذا كان الأمر حاصلاً •

د ــ في الخبر وهو ينقاس في غير الموجب نحو ليس زيد بقائم وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون وفي غير الموجب متوقف على السماع •

هـ ــ في الحال المنفي عاملها كقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب حكيم بن المسيّب منتهاها

و ــ في التوكيد بالنفس والعين نحو جاء زيد بنفسه وبعينه •

٥ ــ مبحث هام حول كان :

قوله تعالى « كيف نكلم من كان في المهد صبياً » جرينا في اعرابها على أنها ناقصة واسمها مستتر تقديره هو وصبياً خبرها وممن اعربها كذلك الزمخشري ووعدنا أن ننقل الخلاف الذي ثار حولها لطرافته ولما فيه من رياضة ذهنية :

أما أبو البقاء فقد أعربها زائدة أي من هو في المهد وصبياً حال من الضمير في الجار والضمير المنفصل المقدر كان متصلاً بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا تحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هي كقوله « وكان الله عليماً حكيماً » وقيل هي بمعنى صار وقيل هي التامة ومن بمعنى الذي وقيل شرطية وجوابها كيف •

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : في كان هذه أقوال :

آ ـ انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف نكلم من في المهد ، وصبياً على هذا نصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور والواقع صلة •

ب ـ انها تامة بمعنى حدث ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد صبياً وصبياً حال من الضمير في كان •

حـ ـ انها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبياً ، وصبياً على هذا خبرها •

د ـ انها الناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع كقوله تعالى « وكان الله غفوراً رحيماً » ولذلك يعبر عنها بأنها ترادف لم يزل •

وقال ابن الأنباري في « أسرار العربية » كان هنا تامة وصبياً منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون ناقصة لأنه لا اختصاص لعيسى عليه السلام في ذلك لأن كلاً كان في المهد صبياً ولا عجب في تكليم من كان فيما مضى في حال الصبا •

وبعد كتابة ما تقدم وقعت على ما قاله أبو طاهر حمزة في رسالة له سماها «المنيرة المعربة عن شرف الاعراب » وأنقل لك خلاصته ففيه وجاهة وطرافة وهي تؤيد ما ذهبنا اليه من بقاء كان على وجهها قال : « لكن الوجه ان كان من قصد الخبر الآن عن حالهم لأنهم أكبروا ذلك

في وقت كونه في المهد فكأنه قال : أكبروا تكليم صبي كائن في المهد طفلاً فيكون الكون من لفظ المخبر لا من لفظهم كقول الحطيئة يصف الرياض :

يظل بها الشيخ الذي كان فانيا
يدب على عوج له نخرات

فلم يك فانياً قبل دبيبه بل وقت دبيبه فذكر الكون من لفظ المخبر » •

قلت :

قلت : وهذا كله دندنة في غير طائل والأجود ما اخترناه واختاره الزمخشري ويأتي في المرتبة بعده أن تكون زائدة أما تقديرها تامة فبعيد جداً لأن عيسى لم يخلق ابتداء في المهد •

٦ ــ **بغياً** : أصله بغوياً اجتمعت فيه الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم أدغم الياء في الياء وإلا لو كان فعيلاً بمعنى فاعل لحقته التاء وقال البيضاوي : « وهو فعول من البغي قلبت واوه وأدغمت ثم كسرت العين اتباعاً ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل لم تلحقه التاء لأنه للمبالغة أو للنسب كطالق » وقال بعضهم : البغي خاص بالمؤنث فلا يقال رجل بغي انما يقال امرأة بغي لكن نقل بعضهم عن المصباح انه يقال رجل بغي كما يقال امرأة بغي •

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

الاعراب :

(ذلك عيسى بن مريم قول الحقّ الذي فيه يمترون) ذلك اسم اشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم بدل وقول الحق مفعول مطلق لفعل محذوف أي قلت ، أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقاً واختار الزمخشري أن يكون منصوباً على المدح بفعل محذوف تقديره امدح ، هذا وقد فرق أبو حيان بين الاعرابين فقال : « وانتصاب قول على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي هذه الأخبار عن عيسى بن مريم ثابت صدق ليس منسوباً لغيرها أي انها ولدته من غير مس بشر كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل أي أقول الحق وأقول قول الحق فيكون الحق هو الصدق وهو من إضافة

الموصوف الى الصفة » ، والذي نعت للقول إن أريد به عيسى وسمي قولاً كما سمي كلمة لأنه عنها نشأ أو صفة للحق نفسه وفيه متعلقان بيمترون وجملة يمترون صلة الموصول • (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) ما نافية وكان فعل ماض ناقص ولله خبرها المقدم وأن يتخذ مصدر مؤول اسم كان ومن زائدة وولد مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف • (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) تقدم اعراب أمثالها كثيراً ونعيد اعراب فيكون الفاء استئنافية ويكون مرفوع أي فهو يكون وكان هنا تامة وقرىء بنصب فيكون بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الطلب• (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة ولذلك كسرت همزة إن وقرىء بفتحها بحذف حرف الجر وان واسمها وربي خبرها وربكم عطف على ربي فاعبدوه الفاء الفصيحة وقد تقدم بحثها واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط والجملة حالية وسمي القول صراطاً مستقيماً تشبيهاً له بالطريق الآيل للنجاة • (فاختلف الأحزاب من بينهم) الفاء استئنافية واختلف الأحزاب فعل وفاعل ومن بينهم حال من الأحزاب والمعنى حال كون الأحزاب بعضهم وتفصيل اختلافهم وأنواع فرقهم يرجع اليها في الملل والنحل للشهرستاني وفي الفصل بين الملل والنحل لابن حزم الاندلسي وفي المطولات • (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) الفاء عاطفة وويل مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لتضمنها معنى الدعاء وللذين خبر ويل وجملة كفروا صلة ومن مشهد متعلقان بويل ومشهد مصدر ميمي أي من شهودهم بمعنى حضورهم ويجوز أن يكون اسم زمان أو مكان • (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أسمع فعل ماض أتى على صيغة الأمر أو مبني على

الفتح المقدر على الآخر الساكن والباء حرف جر زيدت في الفاعل الذي أتى ضمير نصب أو جر لمناسبة الباء وقد تقدم بحث التعجب مفصلاً والتعجب هنا مصروف الى المخاطبين ، لكن مخففة مهملة والظالمون مبتدأ وفي ضلال خبر ومبين صفة وأوقع الظاهر موقع المضمر اشعاراً بأن ظلمهم بلغ الغاية وأربى على النهاية ويوم يأتوننا متعلق بأسمع وأبصر • (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) أنذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول ويوم الحسرة ظرف متعلق بأنذرهم والأحسن أن يكون مفعولاً به أي خوّفهم نفس اليوم وإذ متعلق بالحسرة والمصدر المعرف بأل يعمل في المفعول الصريح فكيف بالظرف ويجوّز أن يكون بدلاً من يوم الحسرة فيكون معمولاً لأنذر وبذلك يتأكد أن يوم الحسرة مفعول به لا ظرف ، وهم الواو حالية وهم مبتدأ وفي غفلة خبر وهم لا يؤمنون جملة حالية منتظمة مع سابقتها والحالان إما من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين أي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالين السيئتين فتكون جملة وأنذرهم اعتراضاً واما من المفعول في أنذرهم على هاتين الحالين السيئتين ، (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يُرجعون) إن واسمها ونحن تأكيد لاسم نا الذي هو بمعنى نحن لأنه بمعناه وجملة نرث الأرض خبر إنا ومن عطف على الأرض وعليها متعلقان بمحذوف صلة من والينا متعلقان بيرجعون ويرجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ولك في الواو بقوله والينا أن تجعلها حالية أو عاطفة •

البلاغـة :

المجاز المرسل في قوله « لكن الظالمون في ضلال مبين » والعلاقة الحالية والمراد جهنم فأطلق الحال وأريد المحل لأن الضلال لا يحل فيه

وإنما يحل في مكانه وكذلك قوله : وهم في غفلة والغفلة لا يحل فيها أيضاً وإنما يحل بالمتالف التي توقع الغفلة أصحابها فيها .

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

اللغــة :

(الصدّيق) : من أبنيــة المبالغة ونظيره الضحّيك والنّطّيق والمراد أنه بليغ الصدق في أقواله وأفعاله وفي تصديق غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله •

(مليًا) : دهراً طويلاً •

(حفياً) : في المختار : « وحفي به بالكسر حفاوة بفتح الحاء فهو حفي أي بالغ في إكرامه وإلطافه والعناية بأمره ، والحفي أيضاً المستقصي في السؤال ومن الأول قوله تعالى : « انه كان بي حفياً » ومن الثاني قوله تعالى : « كأنك حفي عنها » • » •

الاعراب :

(واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي الكتاب متعلقان باذكر وابراهيم مفعول به وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وصديقاً خبر كان الأول ونبياً خبرها الثاني • (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إذ اختلف المعربون فيها فعلقها الزمخشري وأبو البقاء وغيرهما بكان أو بصديقاً نبياً أي كان جامعاً لخصائص النبيين والصديقين حين خاطب أباه تلك المخاطبات وهذا مبني على عمــل كان الناقصة وأخواتها في الظرف غير خبرها واسمها وفيه خلاف وأعربها الزمخشري وأبو البقــاء وغيرهما أيضاً بدلاً من ابراهيم بناء عــلى حذف مضاف أي نبأ ابراهيم فتكون جملة إنه كان صديقاً نبياً معترضة وفيه أيضاً انه مبني على تصرف إذ

وقد تقدم بحثها والقول بأنها لا تتصرف وجملة قال مضافة اليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال ويا حرف نداء وأبت منادى مضاف لياء المتكلم المعوض عنها بالتاء وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ولا يجوز الجمع بين المعوض والمعوض عنه فلا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد مع ترجمة مستفيضة لسيبويه • ولم أصلها اللام الجارة وما الاستفهامية وقد تقدم أن ألفها تحذف إذا سبقها حرف جر وتنزل اللام معها منزلة الكلمة الواحدة فتكتب الألف ياء فتقول إلام وعلام وحتام وهي متعلقة مع مجرورها بتعبد وفاعل تعبد ضمير مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعول به وجملة لا يسمع صلة وما بعدها معطوفة عليها وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم تقريره • (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) يا أبت تقدم اعرابها وان واسمها وجملة قد جاءني خبرها ومن العلم متعلقان بجاءني ومن للتبعيض وما اسم موصول فاعل وجملة لم يأتك صلة فاتبعني الفاء الفصيحة أي ان شئت الهداية والنجاة واتبعني فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به واهدك جواب الطلب ولذلك جزم والكاف مفعول به وصراطاً مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض وسوياً صفة لصراطاً • (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً) لا ناهية وتعبد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت والشيطان مفعول به وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر وللرحمن متعلقان بعصياً وعصياً خبر كان • (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً) إن واسمها وجملة أخاف خبرها وأن يمسك ظرف مؤول مفعول به لأخاف وعذاب فاعل يمسك ومن

الرحمن صفة لعذاب فتكون عطف على أن يمسك واسم تكون مستتر تقديره أنت وللشيطان متعلقان بولياً ، ووليّاً خبر تكون ومعنى الولي هنا القرين • (قال : أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) الهمزة للاستفهام الانكاري وراغب مبتدأ وسوغ الابتداء اعتماده على أداة الاستفهام وأنت فاعل سد مسدّ الخبر وأعربه الزمخشري خبراً مقدماً وأنت مبتدأ مؤخراً ولا موجب لذلك بعد وجود القاعدة وسيأتي تقريرها في باب الفوائد وما تخللها من أبحاث تذهل الألباب ، ويا حرف نداء وابراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم • (لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنته فعل مضارع مجزوم بلم ولأرجمنك اللام واقعة في جواب القسم كما هي القاعدة في اجتماع القسم والشرط وأرجمنك فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به واهجرني الواو عاطفة واهجرني معطوف على محذوف عند من يمنع عطف الانشائية على الخبرية والتقدير فاحذرني واهجرني ، على أن سيبويه يجيز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية فليس هذا التقدير بلازم ومليّاً ظرف زمان متعلق باهجرني وقيل هو حال من فاعل اهجرني ومعناه سالماً سوياً لا يصيبك من معرة • (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً) سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء والمراد بالدعاء هنا التوديع والازماع على الفراق وعليك خبر وسأستغفر السين للاستقبال وأستغفر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وإنما جاز له الاستغفار للكافر الرجاء بأن يوفق الى الايمان الموجب لغفران الذنوب ولك متعلقان بأستغفر وربي مفعول به وجملة إنه تعليلية لا محل لها وإن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وحفياً خبرها وبي متعلقان بحفياً • (وأعتزلكم

وما تدعون من دون الله) الواو عاطفة وأعتزلكم أي أتركم مرتحلاً من بلادكم والفاعل مستتر والكاف مفعول به وما الولو حرف عطف وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية • وعلى كل حال موضعها نصب عطف على الكاف أو مفعول معه وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال • (وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً) وأدعو عطف على أعتزلكم وفاعله مستتر تقديره أنا وربي مفعول به وعسى فعل ماض من أفعال الرجاء واسمها مستتر وأن وما في حيزها هي الخبر واسم أكون مستتر تقديره أنا وبدعاء متعلقان بشقياً وربي مضاف لدعاء وشقياً خبر أكون • (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً) لما ظرفية حينية أو رابطة واعتزلهم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وما يعبدون من دون الله تقدم اعرابها أي تركهم فعلاً من بابل الى الأرض المقدسة وجملة وهبنا لا محل لها لأنها جواب لما وله متعلقان بوهبنا واسحق مفعول وهبنا ويعقوب عطف على اسحق وكلاً مفعول به أول لجعلنا ونبياً هو المفعول الثاني • (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً) ووهبنا عطف على وهبنا الأولى ولهم متعلقان بوهبنا أي لابراهيم وولديه ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً وجعلنا عطف على وهبنا ولهم في موضع المفعول الثاني لجعلنا ولسان صدق هو المفعول الاول وعلياً صفة للسان وهو الثناء الحسن كما سيأتي في باب البلاغة •

البلاغـة :

١ ـ فن الاستدراج :

بلغت هذه الآيات ذروة البلاغة ، وانطوت على معاجز تذهل العقول فأول ما يطالعنا منها فن يعرف بالاستدراج وهو يقوم على

مخادعة المخاطب تقوم فيه الاقوال مقام الأفعال فلا يزال يترفق بالمخاطب ويداوره ويلاينه حتى يسقط في يده ويستلين ويعلن استسلامه وهو يشبه أصحاب الجدل في الكلام والمنطق والفلسفة ولكن أولئك يتصرفون في المغالطات القياسية أما الشاعر أو الكاتب فهو في استدراجه يتصرف في المغالطات الخطابية . وقد أحسن الامام الزمخشري في تحليل هذا الفن وان لم يسمه فحلل هذا الفصل تحليلاً عجيباً وقد شاء ضياء الدين بن الأثير الذي استخرج هذا الفن أن يغير على فصل الزمخشري فنسفه برمته ونسبه اليه وسننصف الزمخشري من سالبيه فننقل فصله برمته وعلى طوله فهو كالحسن غير مملول .

« انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز ، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق ، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحاً في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا ... وذلك أنه طلب منه أولاً العلة في خطئه طلب منبه على تماديه ، موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود لو كان حياً مميزاً سميعاً بصيراً مقتدراً على الثواب والعقاب ، نافعاً ضاراً ، إلا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ، ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة ... فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له ، وثناءك عليه ، ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلاً أن يغني عنك بأن تستدفعه بلاء فيدفعه أو تسنح لك حاجة فيكفيكها ، ثم ثنّى بدعوته الى الحق مترفقاً به متلطفاً فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال :

إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف ، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضلّ وتتيه ، ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن ، الذي جميع ما عندك من النعم من عنده ، وهو عدوك الذي لا يريد بك إلا كل هلاك وخزي ونكال ، وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا أن ابراهيم عليه السلام لإمعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته ، كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه ، ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأن العذاب لاصق به ولكنه قال : أخاف أن يمسك عذاب ، فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم ... فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم ، وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله « يا أبت » توسلاً إليه واستعطافاً ... أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني وقدم الخبر على المبتدأ في قوله « أراغب أنت » لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته » .

٢ ـ المجاز المرسل :

وفي قوله تعالى « وجعلنا لهم لسان صدق عليا » مجاز مرسل من إطلاق اسم الآلة وهي اللسان لأنها آلة الكلام وإرادة ما ينشأ عنها فعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطاء فهو مجاز علاقته السببية .

الفوائد :

١ ـ المبتدأ الصفة :

قد يرفع الوصف بالابتداء إن لم يطابق موصوفه تثنية أو جمعاً فلا يحتاج الى خبر بل يكتفي بالفاعل أو نائبه فيكون مرفوعاً به ساداً مسد الخبر بشرط أن يتقدم الوصف نفي أو استفهام وتكون الصفة حينئذ بمنزلة الفعل فلا تثنى ولا تجمع ولا توصف ولا تصغر ولا تعرف ويتناول الوصف اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والمنسوب ولا فرق بين أن يكون الوصف مشتقاً نحو : ما ناجح الكسولان وهل محبوب المجتهدون أو اسماً جامداً فيه معنى الصفة نحو هل صخر هذان المعاندان فصخر مبتدأ وهو اسم جامد بمعنى الوصف لأنه بمعنى صلب قاس وهذان فاعل لصخر أغنى عن الخبر ، وما وحشي أخلاقك فوحشي مبتدأ وهو اسم جامد فيه معنى الصفة لأنه اسم منسوب فهو بمعنى اسم المفعول وأخلاقك نائب فاعل له أغنى عن الخبر ولا فرق بين أن يكون النفي والاستفهام بالحرف أو بغيره نحو : ليس كسول ولداك وغير كسول أبناؤك وكيف سائر أخوالك غير انه مع ليس يكون الوصف اسماً لها والمرفوع بعده مرفوعاً

به ساداً مسد الخبر ومع غير ينتقل الابتداء اليها ويجر الوصف بالاضافة اليها ويكون ما بعد الوصف مرفوعاً به ساداً مسد الخبر وبذلك ينحل الإشكال الوارد في بيت أبي نواس :

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

فغير مبتدأ لاخبر له بل لما أضيف اليه مرفوع يغني عن الخبر وذلك لأنه في معنى النفي والوصف بعده مجرور لفظاً وهو في قوة المرفوع بالابتداء أي فحركة الرفع التي على غير هي التي يستحقها هذا الاسم بالاصالة لكنه لما كان مشغولاً بحركة الجر لأجل الاضافة جعلت حركته التي كانت له بطريق الأصالة من حيث هو مبتدأ على بطريق العارية وعلى زمن في محل رفع نائب فاعل لمأسوف سد مسد الخبر وجملة ينقضي بالهم والحزن صفة لزمن وقد أورد بن هشام هذا البيت في مغني اللبيب وأورد وجهين آخرين تراهما بعيدين كل البعد وخاصة الثالث الذي اعترف ابن هشام بتعسفه فليرجع اليهما .

فإن لم يقع الوصف بعد نفي أو استفهام فلا يجوز هذا الاستعمال فلا يقال مجتهد غلاماك بل تجب المطابقة نحو مجتهدان غلاماك وحينئذ يكون خبراً مقدماً وما بعده مبتدأ مؤخراً وأجازه الكوفيون لأنهم لم يشترطوا اعتماد الصفة على النفي والاستفهام واستشهدوا بقوله :

خبير بنو لهب فلا تك ملغياً مقالة لهبي إذا الطير مرت

فأعربوا قوله بنو لهب فاعلاً لخبير دون أن يعتمد على نفي أو استفهام واعتذر البصريون عن البيت بأن خبيراً على وزن فعيل وفعيل على وزن المصدر كصهيل وزئير والمصدر يخبر به عن المفرد أو المثنى

والجمع فأعطي حكم ما هو على زنته فهو على حد قوله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » ، وقد شايع أبو الطيب الكوفيين لأنه من الكوفة ولأن له كلفاً بمراغمة النحاة كما أشرنا الى ذلك غير مرة فقال بيته الممتع:

دع النفس تأخذ وسعها قبل بينها

فمفترق جاران دارهما العمر

فمفترق مبتدأ وجاران فاعل سد مسد الخبر ولا يجوز أن تقول إن مفترقاً خبر مقدم لأنه كان يجب أن يطابق قوله جاران والحاصل :

انه إذا رفع الوصف ما بعده فله ثلاثة أحوال :

١ ـ وجوب الابتداء إذا لم يطابق ما بعده في التثنية والجمع نحو أقائم أخواك .

٢ ـ وجوب الخبرية إذا طابق ما بعده في التثنية والجمع نحو أقائمان أخواك .

٣ ـ جواز الوجهين إذا طابق ما بعده في التذكير والتأنيث نحو : أقائم أخوك وأقائمة أختك .

ومحل جواز الوجهين ما لم يوجد مانع وجعل بعض العلماء من الموانع في قوله تعالى « أراغب أنت عن آلهتي » فتتعين الابتدائية للزوم الفصل اذا جعلته خبراً بينه وبين معموله وهو الجار والمجرور وردّ ذلك آخرون مدافعين عن الزمخشري بأن قوله عن آلهتي متعلق آخر أما الزمخشري وابن الحاجب فقد اشترطا في الأصل أن يكون المرفوع اسماً ظاهراً ولكن الزمخشري نفسه أجاز إعراب أنت فاعلاً لراغب .

٢ ـ عود إلى « يا أبت » :

تحدثنا عن اللغات في المنادى المضاف الى ياء المتكلم فأما التاء في يا أبت ويا أمت فتاء التأنيث بمنزلة التاء في قائمة وامرأة، قال سيبويه: سألت الخليل عن التاء في يا أبت لا تفعل ويا أمت فقال هذه التاء بمنزلة الهاء في خالة وعمة يعني أنها للتأنيث والذي يدل على أنها للتأنيث أنك تقول في الوقف يا أبه ويا أمه فتبدلها هاء في الوقف كقاعد وقاعده على حد خال وخاله وعم وعمه ودخلت هذه التاء كالعوض من ياء الاضافة والأصل يا أبي ويا أمي فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة قبلها ثم دخلت التاء عوضاً عنها ولذلك لا تجتمعان فلا تقول يا أبتي ولا يا أمتي لئلا يجمع بين المعوض والمعوض عنه ولا تدخل هذه التاء فيما له مؤنث من لفظه فلو قلت في يا خالي ويا عمي يا خالت ويا عمت لم يجز لأنه كان يلتبس بالمؤنث فأما دخول التاء على الأم فلا اشكال فيها لأنها مؤنثة . وأما دخولها على الأب فلمعنى المبالغة كما في راوية وعلامة .

٣ ـ من هو سيبويه :

وقد تردد اسم سيبويه كثيراً ولا بد لنا من القاء نظرة عاجلة على قصة حياته لأن فيها فائدة ولأنه ترك لنا في نحو البصريين الكتاب الذي خلد الى يومنا هذا ، وكان كتاب النحو الجامع حتى قيل فيه قرآن النحو .

فهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي وهي نسبة الى الحارث بن كعب قبيلة يمنية وهذه النسبة بالولاء فقد كان سيبويه فارسياً فأما لقبه فسيبويه وقد غلب عليه وهو فارسي مركب مزجي من سيب أي التفاح وبوي أي الرائحة فمعناه رائحة التفاح على قاعدة

الأوصاف باللغة الفارسية سمي بذلك لطيب رائحته أو لجماله وحسن خلقه وقيـل مركب من سيب وويه اسم صوت ويذكر بعض العارفين باللسان الفارسي ان ويه في هذا اللسان معناها مثل وشبـه ، فمعنى التركيب مثل التفاح وهكذا نفطويه : مثل النفط وعمرويه : مثل عمرو .

حكم سيبويه :

والجاري على الألسنة سيبويه بفتح الباء والواو والهاء مكسورة وهذا حكم شائع في الاعلام المختومة بويه جاء في الكتاب قول سيبويه :

« وعمرويه عندهم بمنزلة حضرموت في انه ضم الآخر الى الأول وعمرويه في المعرفة مكسور في حال الجر والرفع والنصب غير منون وفي النكرة تقول هذا عمرويهٍ آخر ورأيت عمرويهٍ آخر » وتراه في الكتاب اقتصر على المشهور عند الناس وقد ينطق سيبويه بضم الباء وفتح الياء وسكون الهاء ويعزى هذا الى العجم تجنبوا الصورة الأولى لأن ويه صوت ندبة .

مولده ونشأته :

ولـد سيبويه في البيضاء من كورة اصطخر بفارس من أبوين فارسيين ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ولادته وقد انتقل الى البصرة فتلقى العلم فيها وكانت هي والكوفة المصرين المبرزين في علوم العربية والدين ولا يعرف شيئاً عن أسرته إلا ما ذكر أنه مات بين يدي أخيه ولا ندري هل انتقلت معه الى البصرة أسرته ونحن لا نرى لأبيه ذكراً ونرى بشاراً يهجوه حين اشتهر أمره فيقول :

ظللت تغني سادراً في مساءتي وأمك بالمصرين تعطي وتأخـذ

ويظهر من هذا أن أمه كانت معه في العراق ولا ندري هل تزوج وفي حديث للفراء أن سيبويه كانت له جارية تخدمه وفي طبقات النحاة أن جاريته مزقت جزازات كتابه فطلقها فهل يريد بجاريته زوجته أو يريد بتطليقها إخراجها من بيته ؟ والظاهر انه لم يكن له زوج ولا ولد وآية ذلك انه بعد أن أخفق في بغـداد في قصته مع الكسائي — على ما يأتي — لم يعد الى منزله بالبصرة .

كيف طلب النحو ؟

اختلف سيبويه الى حماد بن سلمـة شيخ الحديث والرواية في البصرة في عصره فألقى عليه حماد الحديث : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد من أصحابي إلا أخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه ، وكان قد شدا شيئاً من النحو : ليس أبو الدرداء فقال حماد لحنت يا سيبويه ، فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علماً لا تلتحنني فيه أبداً ، واتجه لدرس النحو فلزم الخليل وقد ظن سيبويه أن الواجب رفع ما بعد ليس ليكون اسماً لهـا ولـم يكن عرف أسلوب ليس في الاستثناء وقد عرض سيبويه لذلك في الكتاب وأشبعه بياناً وتعليلاً .

بوادر نبوغه وحرية فكره :

وكان أكثر تلقيه عن الخليل حتى انه إذا قال : قال أوسألته فإنه يعني الخليل ، وكان الخليل قد عرف له قدره وثقابة ذهنه وقوة فطنته فأبثه علمه ونصح له في التعليم ، وأخذ عن غير الخليل : أخذ عن عيسى ابن عمر ويونس بن حبيب والأخفش الكبير أبي الخطاب عبد الحميد بن عبدالمجيد ويذكر أبو زيد الأنصاري انه اذا قال سيبويه: أخبرني الثقة فإنما يعنيه وأول ماظهر من بوادر نبوغه ماحدث به الأخفش قال: كنت عند يونس

فقيل له: قد جاء سيبويه فقال أعوذ بالله منه فجاء فسأله فقال: كيف تقول: مررت به المسكين ؟ فقال جائز أن أجره على البدل من الهاء فقال له: فمررت به المسكين بالرفع على معنى المسكين مررت به فقال هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر فقال له: إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيه أبياتاً فقال: هو خطأ، قال فمررت به المسكين بالنصب ؟ فقال جائز، فقال على أي شيء ؟ فقال على الحال، فقال أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام، فقـال: صدقت ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه ؟ يعني الخليل، فقال سيبويه: قال انه ينصب على الترحم، فقال: ما أحسن هذا، ورأيته مغموماً بقوله نصبته على الحال. وكان سيبويه مع إجلاله للخليل يزيف قوله ففي الكتاب: « وزعم الخليل انه يجوز أن يقول الرجل: هذا رجل أخو زيد إذا أردت أن تشبهه بأخي زيد وهذا قبيح لا يجوز إلا في موضع الاضطرار ولو جاز هذا لقلت هذا قصير الطويل تريد مثل الطويل فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالاً كالنكرة إلا في الشعر ».

بين سيبويه والكسائي:

وأتى الحظ والسعادة الكسائي وأصحابه فحلوا في بغداد محلاً رفيعاً وكان منهم مؤدبو أولاد الخلفاء وكانوا عند البصريين في النحو والادب أقل منهم معرفة وأضعف أسباباً وقـد رأى سيبويه ــ وهو إمام البصريين ــ أن يزاحمهم في مركزهم فقصد بغداد وعرض عـلى البرامكة أن يجمعوا بينه وبين الكسائي ويناظره وكان واثقاً انه سيكون له الفلح والظفر وبلغ الكسائي مقدم سيبويه وخشي مغبة المناظرة أن يزول سلطانه في بغداد فأتى جعفر بن يحيى بن برمك والفضل أخـاه وقال: أنا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل إنما قدم ليذهب محلي قالا

فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما ويبدو أن فارسية سيبويه يقابلها فارسية الكسائي فهو أيضاً فارسي من ولد بهمن بن فيروز وكان أسدياً بالولاء فلم يكن لسيبويه ما يجعله أقرب الى قلوب البرامكة من الكسائي فدبر هو وأصحابه خطة كان لها ما توقعوه وهي : أن يتقدمه في مجلس المناظرة أصحابه فيسألوا سيبويه أسئلة ويتألبوا عليه حتى اذا فترت همته وبان كلاله جاء الكسائي فوجد قرناً ذهب حده وعزب نشاطه فكان له ما أراد من صرعه وقد تقدمت قصة المسألة الزنبورية في موضع آخر من هذا الكتاب •

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩

الاعراب :

(واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً) اذكر فعل أمر وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان باذكر وموسى مفعول به وان واسمها وجملة كان خبرها ومخلصاً خبر كان وكان رسولاً نبياً عطف على كان الأولى • (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً) وناديناه عطف على ما سبق وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن جانب متعلقان بناديناه والطور مضاف اليه والأيمن صفة لجانب قالوا لأنه كان يلي يمين موسى حين أقبل من مدين وقربناه عطف على ناديناه ونجياً حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه وهو فعيل بمعنى فاعل أي مناجياً • (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) ووهبنا عطف أيضاً وله متعلقان بوهبنا ومن رحمتنا متعلقان بوهبنا أيضاً ومعنى من هنا التبعيض أي بعض رحمتنا أو للتعليل أي من أجل رحمتنا وأخاه مفعول به لوهبنا وهارون بدل ونبياً حال • (واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) اعرابها ظاهر وقد تقدم وجملة انه كان تعليلية • (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) جملة يأمر خبر كان وأهله مفعول به وبالصلاة متعلقان بيأمر وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو وعند ربه متعلقان بمرضياً ومرضياً خبر كان اجتمعت الياء والواو فقلبت الواو ياء وأدغمت في الأخرى • (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) تقدم اعراب مثيلاتها ولا بأس بذكر ما قاله الزمخشري بصدد ادريس وهذا نصه :

« قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلاً من الدرس لم يكن فيه

إلا سبب واحد وهو العلمية فكان منصرفاً فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون معنى ادريس في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي مشتقاً من الدرس » وما أجمل حرية الرأي • (ورفعناه مكاناً علياً) رفعناه فعل وفاعل ومفعول به ومكاناً ظرف متعلق برفعناه وعلياً صفة وقد رويت أساطير كثيرة حول هذا الرفع ومرجعها المطولات • (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) أولئك مبتدأ أي الانبياء العشرة المذكورون في السورة والذين خبر أو بدل من اسم الاشارة وجملة أنعم الله عليهم صلة ومن النبيين حال ومن ذرية آدم بدل بإعادة الجار • (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا) عطف على ما تقدم • (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) جملة اذا تتلى عليهم وجوابها استئنافية لا محل لها إذا أعربنا الذين خبراً وإذا أعربنا الذين بدلاً فتكون هي الخبر وجملة خرّوا لا محل لها لأنها جواب إذا والواو في خروا فاعل وسجداً حال من الفاعل وبكياً عطف على سجداً جمع ساجد وباك والثاني شاذ لأن قياس فاعل من المنقوص أن يجمع على فعله كقاض وجمعه قضاة وباك وجمعه بكاة •

* فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ

عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

اللغـــة :

(خلف) : أي عقب وبعض اللغويين يستعلون الخلف بسكون اللام كما هنا في الشر فيقال خلف سوء وبفتحها في الخير فيقال خلف صالح ، قال في الكشاف : « خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر » وقال اللحياني : الخَلَف بفتحتين الولد الصالح والخَلْف بفتح فسكون الرديء •

(غياً) : كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد ، قال المرقش الاصغر :

أمن حلم أصبحت تنكت واجماً
وقد تعتري الأحلام من كان نائما

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائما

يقال غوي يغوى من باب ضرب انهمك في الجهل •

الاعراب :

(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) الفاء عاطفة وخلف فعل ماض ومن بعدهم حال وخلف فاعل وجملة أضاعوا الصلاة صفة لخلف واتبعوا الشهوات عطف على أضاعوا الصلاة والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم عاقبتهم، وسوف حرف استقبال ويلقون فعل مضارع وفاعل وغياً مفعول به . (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) إلا أداة استثناء و « من » إن جعلنا الاستثناء منقطعاً كانت إلا بمعنى لكن ومن مستثنى واجب النصب ووجه الانقطاع أن المستثنى منه كفار والمستثنى مؤمنون وهذا اختيار الزجاج واختار أبو حيان الاتصال وربما كان أظهر لأنه خطاب صالح لكل أمة وفيها من آمن ومن كفر وعلى كل حال هو واجب النصب لأن الكلام تام موجب ، وجملة تاب صلة وآمن عطف على تاب وعمل عطف أيضاً وصالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون مفعولاً مطلقاً أي عملاً صالحاً ، فأولئك الفاء الفصيحة وأولئك مبتدأ وجملة يدخلون خبر والجنة مفعول به على السعة ولا يظلمون عطف على يدخلون وشيئاً مفعول مطلق ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً بتضمين يظلمون معنى ينقصون . (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) جنات بدل من الجنة وعدن مضاف إليه من عدن بالمكان أي أقام وقد جرى مجرى العلم ولذلك ساغ وصفها بالتي والتي صفة لجنات عدن وجملة وعد صلة والرحمن فاعل وعد وعباده مفعول وبالغيب حال من عباده أي من المفعول والمعنى غائبة عنهم لا يشاهدونها ويحتمل أن يكون حالا من ضمير الجنة وهو الضمير العائد على الموصول أي وعدها وهم غائبون عنها لا يرونها .

(إنه كان وعـده مأتياً) إن واسمها والضمير يعود عـلى الله تعالى أي الرحمن والمعنى أن الرحمن كان وعده مأتياً أو انه ضمير الشأن لأنه مقام تعظيم وتفخيم والجملة تعليلية مستأنفة وجملة كان خبر إن واسم كان يعود على الله تعالى أيضاً ووعده بدلاً من ذلك الضمير بدل اشتمال ومأتياً خبرها ويجوز أن لا يكون فيها ضمير ، ووعـده اسمها ومأتياً خبرها واختار الجلال وشراحه أن يكون مآتياً مفعول بمعنى فاعل أي آتياً ولم يرتضه الزمخشري فإنه قـال : « قيل في مأتياً مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو الجنة وهم يأتونها » والحقّ مع الزمخشري لأن ما تأتيه فهو يأتيك فـلا موجب للتأويل . (لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً) الجملة حال من جنات عدن ولا نافية ويسمعون فعل مضارع والواو فاعل وفيها متعلقان بمحذوف حال أي حالة كونهم في الجنة ولغواً مفعول به أي مالا طائل تحته من الكلام وهو ما يشقشق به أكثر الناس في مجالسهـم من ثلب للآخرين وتدخل في شؤون الناس أو من حديث تافه أشبه بالفضول ، وإلا أداة حصر وسلاماً بدل من لغواً أو يحمل عـلى الاستثناء المنقطـع وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة ولهم خبر مقدم ورزقهم مبتدأ مؤخر وفيها حال وبكرة ظرف متعلق بمعنى الاستقرار المستكن في الخبر المقدم وعشياً عطف عـلى بكرة . (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) اسم الاشارة مبتدأ والجنة خبر والتي صفة للجنة وجملة نورث صلة ومن اسم موصول مفعول نورث وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وجملة تقياً خبر كان .

البلاغـة :

١ ـ توكيد المديح بما يشبه الذم وعكسه :

في قوله تعالى « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » فن رفيع من

فنون البلاغة وهو توكيد المدح بما يشبه الذم وقد سبقت الاشارة اليه في المائدة ولم نقسمه آنذاك فنقول انه ينقسم الى نوعين :

آ ــ أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح لذلك الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية ومنه قول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فقد جعل الفلول عيباً على سبيل التجوز بتاً لنفي العيب بالكلية كأنه يقول : إن كان فلول السيف من القراع عيباً فانهم ذوو عيب معناه إن لم يكن عيباً فليس فيهم عيب البتة لأنه لا شيء سوى هذا فهو بعد هذا التجوز والفرض استثناء متصل •

ب ــ ان تثبت لشيء صفة مدح وتعقب ذلك بأداة استثناء يليها صفة مدح أخرى لـذلك الشيء نحو : أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وقال النابغة أيضاً :

فتى كملت أوصافه غـير أنه جواد فما يبقي عـلى المال باقيا

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أن يكون منقطعاً لكنه لم يقدّر متصلاً بل بقي على حاله من الانقطاع لأنه ليس في هذا الضرب صفة ذم منفية عامـة يمكن تقدير دخول صفة المـدح فيها فحينئذ لا يستفاد التوكيد فيه إلا من الوجه الثاني من الوجهين المـذكورين في الضرب الاول ولهذا كان الضرب الاول أبلغ لإفادته التأكيد من الوجهين •

إذا عرفت هذا فاعلم أن في الآية الكريمة : « لا يسمعون فيهـا لغواً إلا سلاماً » ثلاثة أوجه :

آ ـ أن يكون معناه إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة لغواً فلا يسمعون لغواً إلا ذلك وهو بهذا من وادي قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ‌ ‌ ‌ ‌ بهن فلول من قراع الكتائب

ب ـ انهم لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة وهذا يتعين فيه الاستثناء المنقطع .

جـ ـ ان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة وهي دار السلامة وأهلها أغنياء عن الدعاء بالسلامة فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الإكرام ، ففي الوجه الاول والثالث يتعين الاتصال في الاستثناء أما الأول فلجعل ذلك لغواً على سبيل التجوز والفرض وأما الثاني فواضح لأنه فيه اطلاق اللغو على السلام وأما الثالث فلحمل الكلام على ظاهره من دون تجوز أو فرض .

٢ ـ التشبيه التمثيلي البليغ :

وذلك في قوله تعالى « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً » فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد وهو الميراث الذي يرثه الوارث فلا يرجع فيه المورث أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث أنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط والإرث في اللغة البقاء ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم على إرث من إرث أبيكم ابراهيم » أي على بقية من

بقايا شريعته والوارث الباقي من أسماء الله تعالى أي الباقي بعد فناء خلقه وهو في الشرع انتقال مال الغير الى الغير على سبيل الخلافة .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

الاعراب :

(وما تتنزل إلا بأمر ربك) الجملة مستأنفة مسوقة لحكاية قول جبريل حيث استبطأه الرسول عليه السلام لما سئل عن قصة أهل الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ، كما تقدم ، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعين حتى قال المشركون : ودعه ربه وقلاه ، فالواو استئنافية وما نافية وتتنزل فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا بأمر ربك استثناء من أعم الاحوال فإلا أداة حصر وبأمر متعلقان بمحذوف حال فالتنزل نزول فيه ابطاء أو بمعنى النزول على الاطلاق ، قال الشاعر :

فلست لإنسيّ ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يصوب

وهذا البيت لرجل من عبد القيس يمدح الملك النعمان بن المنذر وقيل لأبي وجرة يمدح عبد الله بن الزبير وقبله :

تعاليت ان تعزى الى الانس جلة

وللإنس من يعزوك فهو كذوب

أي لست منسوباً لإنسي ولكن لملك وبالغ في ذلك حتى جعله نازلاً من جهة السماء يصوب أي يقصد الى جهة معينة والملأك معفل بتقديم العين من الألوكة بالفتح وهي الرسالة وقال أبو عبيدة هو مفعل على اسم المكان من لأك إذا أرسل ولعله جاء على مفعل لتصوير أن الرسول مكان الرسالة وقال ابن كيسان : هو فعأل من الملك فالهمزة زائدة وعلى كل يخفف بالنقل فيقال ملك ٠

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) له خبر مقدم وما موصول مبتدأ مؤخر والجملة حال من ربك والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيدينا مضافة للظرف وما خلفنا عطف على ما بين أيدينا وما بين ذلك عطف أيضاً ٠ (وما كان ربك نسياً) الواو حرف عطف وما نافية وكان واسمها وخبرها ٠ (رب السموات والأرض وما بينهما) رب السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف أي هو رب السموات والأرض ويجوز أن يعرب بدلاً من ربك ٠ (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) الفاء هي الفصيحة ولا حاجة لتأويل الكلام بجعلها عاطفة من باب عطف الانشاء على الخبر أي إذا عرفت ربوبيته الكاملة فاعبده واصطبر عطف على اعبده ولعبادته متعلقان باصطبر وقد أحسن الزمخشري في الفهم حيث جعل العبادة بمنزلة القرن تقول للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من شداته وصولاته والمراد لا تضق ذرعاً ولا تهن قوة إذا تأخر عنك الوحي ولا تبتئس لشماتة الكافرين فما هي إلا غمرة ثم تنجلي ، وظلمة ثم تنحسر وهل حرف

استفهام معنـاه النفي وتعلم فعل مضارع وفاعله مستتر تقـديره أنت وسمياً مفعول به والسمي هو الشريك في الاسم .

الفوائـد :

عطف الانشاء على الخبر وبالعكس :

منعه البيانيون وبعض النحاة وأجازه بعض النحاة قال أبو حيان : وأجاز سيبويه ذلك واستدل بقول امرىء القيس :

وإن شفـائيَ عبرة مهراقــة   وهل عند رسم دارس من معول

فجملة إن شفائي الخ خبرية وجملة وهل عنـد رسم الخ جملة انشائية عطفاً على الخبرية وقول الآخر :

تنـاغي غزالاً عنـد باب ابن عامـر
وكحـل مآقيك الحسـان بإثمـد

وقول الآخر :

وقائلة خولان فانكـح فتاتهم   وأكرومة الحيين خلوكما هيا

ورد ابن هشام هـذه الاقوال فقال رداً عـلى أبي حيان : « وأما ما نقله أبو حيـان عن سيبويه فغلط عليـه وأما بيت امرىء القيس فالاستفهام خرج معناه الى النفي كما ذكرنا ، وأما قوله فانكح فتاتهم فهو معطوف على فعـل أمر محذوف مفهوم من المبتدأ أي تنبه لخولان وأما وكحل مآقيك الخ فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات وقد

يكون معطوفاً على أمر مقدر يدل على المعنى أي فافعل كذا وكحل كما قيل في لأرجمنك واهجرني ان التقدير فاحذرني واهجرني ملياً لدلالة لأرجمنك .

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

اللغـــة :

(جثياً) : بضم الجيم وكسرها وبهما قرىء جمع جاث من جثا يجثو أجثى ويجثي لغتان : أي جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه فهو جاث .

(صلياً) : بكسر الصاد وضمها وبهما قرىء مصدر صلي بكسر اللام وفتحها النار أي دخلها .

الاعراب :

(ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً) الواو استئنافية ويقول الانسان فعل مضارع وفاعل وأل فيه للجنس والهمزة للاستفهام بمعنى النفي وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بفعل محذوف دل عليه قوله لسوف أخرج لأن اللام تمنع من تعليقه بأخرج المذكورة لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وما زائدة وجملة مت صلة واللام لام الابتداء وسوف حرف استقبال واخرج فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره أنا وحياً حال وساغ اجتماع اللام وهي تمحض الفعل للحال وسوف وهي تمحضه للاستقبال ان اللام هنا لمجرد التوكيد وإنما جردت اللام من معناها لتلائم سوف دون أن تجرد سوف من معناها لتلائم اللام لأنه لو عكس هذا للغت سوف إذ لا معنى لها سوى الاستقبال وأما اللام فانها إذا جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ . (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) أولا: الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة ولا نافية ويذكر فعل مضارع معطوف على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف والانسان فاعل وأنّا : ان واسمها وجملة خلقناه خبر أنا وان وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يذكر ومن قبل الجار والمجرور متعلقان بيذكر ولم الواو حالية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويك فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف واسمها ضمير مستتر تقديره هو ، وشيئاً خبر يك والمضاف الى قبل محذوف تقديره قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه وقدره بعضهم قبل بعثه . (فوربك لنحشرنهم والشياطين) الفاء عاطفة والواو للقسم وربك مجرور بواو القسم وهما متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وفائدة هذا القسم سترد في باب البلاغة

واللام واقعة في جواب القسم ونحشرنهم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والشياطين عطف على الهاء أو الواو بمعنى مع والشياطين مفعول معه • (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً) ثم حرف عطف للتراخي ولنحضرنهم عطف على لنحشرنهم وحول ظرف مكان متعلق بنحضرنهم وجهنم مضاف اليه وجثياً حال • (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً) ثم لننزعن عطف على لنحضرنهم ومن كل شيعة متعلقان بننزعن وأيهم اسم موصول بمعنى الذي وحركتها عند سيبويه حركة بناء لخروجها عن النظائر أي لأنها أضيفت وحذف صدر صلتها وهي في محل نصب مفعول به لننزعن وأشد خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة أي وعتياً تمييز وعلى الرحمن متعلقان بأشد أو بمحذوف حال وسيأتي مزيد بحث في هذه الآية في باب الفوائد • (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واللام للابتداء ونحن مبتدأ وأعلم خبر وبالذين متعلقان بأعلم وهم مبتدأ وأولى خبر والجملة صلة وبها متعلقان بأولى وصلياً تمييز وقيل صلياً جمع صال فانتصب على الحال وفي التمييز فائدة وهي التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب لاشتراكهم فيه • (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) الواو عاطفة وإن نافية ومنكم صفة لمبتدأ محذوف تقديره أحد أي ما منكم أحد وإلا أداة حصر وواردها خبر وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو أي الورود وحتماً خبرها ومقضياً صفة لحتماً • (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) ثم ننجي عطف على ما تقدم وفاعل ننجي مستتر تقديره نحن والذين موصول مفعول واتقوا صلة ونذر عطف على ننجي والفاعل مستتر تقديره نحن والظالمين مفعول به وفيها متعلقان بنذر أو

بجثياً ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من جثياً لأنه في الأصل صفة لنكرة قدم عليها فنصب على الحال ، وجثياً حال أو تجعلها مفعولاً ثانياً لنذر أي نتركهم فيها جثياً .

البلاغـة :

١ ـ فن القسم :

في قوله تعالى « فوربك لنحشرنهـم » فن القسم وهو أن يريـد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له وتعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ما يكون ذماً لغيره أو جارياً مجرى الغزل والترقق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد فقد أفاد القسم هنا أمران أحدهما أن العادة جرت بتأكيد الخبر باليمـين والثاني أن في إقسام الله تعالى باسمه مضافاً الى رسوله صلى الله عليه وسلم رفعاً منه لقـدره وتنويهاً بشأنه كما رفـع من شأن السماء والارض في قولـه « فورب السماء والارض إنه لحق » وسيأتي تحقيق ذلك في مواضعه .

وقد توسّع الشعراء في القسم لأن فيه حلاوة ورفعاً لشأن المتغزل به ، وما ألطف قول عبد المحسن الصوري وهو من أبرع ما سمعنا :

يا غزالاً قد رمى باللحظ قلـــبي فأصابـــا
بالـــذي ألهـم تعـــذيبي ثنايـــاك العـــذابا
والذي ألبس خـــديك من الـــورد نقـــابا
والـــذي أودع في فيـــك من الشهـــد شرابا
والـــذي صـــيّر حظي منك هجـــراً واجتنـــابا

ما الذي قالته عينـــا ك لقلـــبي فأجـــابا

ولابن خفاجة الاندلسي :

لا وسحر بـــين أجفانكم فتن الحب به من فتنـــا
وحـــديث من مواعيـــدكم تحسد العـــين عليه الأذنا
مارحلت العيس عن أرضكم فرأت عينـــاي شيئاً حسنا

وبلغ العباس بن الأحنف الغاية بقوله :

واني ليرضيني قليل نوالكم وإن كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم من الود إلا عـــدتم بجميـــل

وأبدع أبو الطيب بقوله :

أحيـــا وأيســـر ما قاسيتُ ما قتـــلا
والبـــين جار على ضعفي وما عـــدلا
والوجـــد يقوى كما تقوى النوى أبـــداً
والصبر ينحـــل في جسمي كمـــا نحلا
لولا مفارقـــة الأحباب ما وجـــدت
لهـــا المنـــايا إلى أرواحنـــا سبـــلا
بمـــا بجفنيك من سحر صِلي دنفـــاً
يهوى الحيـــاة وأما إن صـــددت فـــلا

٢ ـ الافتنان :

وذلك في قولـه تعالى « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » والافتنان هو أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنين إما متضادين أو مختلفين أو متفقين والآية التي نحن بصددها جمعت بين المتضادين : جمعت بين الوعد والوعيد ، بين التبشير والتحذير وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة والذم لأهل النذارة وستأتي منه أمثلة عديدة في القرآن الكريم .

ومن الجمع بين المتضادين في الشعر قول عبـد الله بن طاهر بن الحسين ونسبهما في الكامل لأبي دلف :

أحبك يا ظلـوم وأنت مني　　مكان الروح من جسد الجبان
ولو أني أقول مكان روحي　　خشيت عليك بادرة الطعـان

فانظر كيف جمع في هذا الشعر بين الغزل والحماسة والغزل لين والحماسة شدة وقال عنترة وأبدع :

إن تغد في دوني القناع فانني　　طب بأخـذ الفارس المستلئـم

وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب فإنه جمـع فيه بين الغزل والحماسة والجد والهزل فأتى فيه بنادرة طريفة وطرفة غريبة حيث قال بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل المغدف الذي يحول بين الأبصار والمبصرات : انني طب بأخذ الفارس المستلئم يقول : إن تتبرقعي دوني فانني خبير لدربتي بالحرب بأخذ الفارس الذي سترته لأمته ، وحالت دوني ودون مقاتلته فأبرز

الجد في صورة الهزل فجاء في بيته مع الافتنان التندير الطريف وعبر عن معناه اللطيف بهذا اللفظ الشريف .

وجمع الحطيئة بين المدح والهجاء في بيت واحد من قصيدة يمدح بها بغيضاً ويهجو الزبرقان وقد شكاه الزبرقان بسببها الى عمر بن الخطاب :

قد ناضلونا وسلوا من كنانتهم
مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاس

ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلا من عرف أن عادة العرب إذا منوا على أسير أعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدلّ على أنها لأولئك القوم لا تزال في كنانته ، فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح : إن عداك لما فاخروك سلوا من كنانتهم تلك التي أعطيتها لهم حتى مننت عليهم تشهد لك بأنهم عتقاؤك فكان هذا مجداً تليداً لك لا يقدرون على جحده تثبته لك هذه النبل التي ليست بأنكاس يعني الصائبات التي لا تنكب إذا ناضلت بها عن الغرض وهذا غاية المدح للمدوح ونهاية الهجاء لعداه إذ أخبر بأنهم مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما إذا أظهروه أثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجهل منهم والغباوة .

ومن الجمع بين الهجاء والمدح أو الفخر قول أبي العلاء المعري :

بأي لسان ذامني متجاهل ... عليّ وخفق الريح فيّ ثناء
تكلم بالقول المضلّل حاسد ... وكل كلام الحاسدين هراء
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا ... ونحن على قوالها أمراء

ولاسار في عرض السماوة بارق وليس له من قومنا خفراء

فهو إذ يفخر بنفسه يهجو أبناء جنسه الذين يتطاولون وهم قصار ويدعون المعرفة والجهل يكتنفهم أولم يقل لهم مخاطباً :

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتخبر أبناء العقول الصحائح

والروح العلائية معروفة فلا لزوم للشرح والتبسط .

أما الجمع بين التهنئة والتعزية فهو غريب حقاً وهو يحتاج الى الكثير من شفوف الطبع ورهافة الحس للاجادة فيه ومن أجمل ما سمعنا منه مثل قول المعرّي ليزيد بن معاوية عندما جلس في دست الخلافة وأتت الوفود مهنئة معزية بأبيه فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بما فتح به لهم باب القول حتى تقدم هذا المتقدم ذكره فاستأذن في الكلام فلما أذن له قال : آجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية وبارك الله لك في العطية فلقد رزئت عظيماً وأعطيت جسيماً ، رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، فاصبر على ما رزئت ، واشكر على ما أعطيت وأنشد :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة

واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الأقوام تعلمه

كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

أصبحت راعي أمور الناس كلهم

فأنت ترعاهم والله يرعاكا

وفي معـــاوية البـــاقي لنـــا خلف

إذا نعيـــت ولا نسمـــع بمنعـــاكا

ففتح للناس باب القول : فقالوا وكان له فضل السبق •

وقال أبو نواس للعباس بن الفضـــل يعزيه بالرشيـــد ويهنئه بخلافة الأمين :

تعزّ أبا العبـــاس عن خـــير هالك

بأكـــرم حي كـــان أو هـــو كـــائن

حـــوادث أيـــام تدور صـــروفها

لهـــنّ مســـاوٍ مرةً ومحاســـن

وفي الحيّ بالميت الـــذي غيّب الثرى

فـــلا أنت مغبونٌ ولا المـــوت غابن

٣ ـ فن الالتفات :

في قوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها ••• الخ » التفات على أحد القولين وهو مفرع على إرادة العموم من الأول فيكون المخاطبون أولاً هم المخاطبين ثانياً إلا أن الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثاني بلفظ الحضور واما إذا بنينا عـــلى أن الأول إنما أريد منـــه خصوص عـــلى التقديرن جميعاً فالثاني ليس التفاتاً وإنما هو عدول عن خطاب خاص لقوم معينين الى خطاب العامة والقول في الورود على جهنم طويل يرجع فيه الى المطولات •

الفوائـد :

نقاش طويل حول أيهم :

وعدناك بمزيد من البحث حول أيهم في قوله تعالى « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » قال أبو حيان في شرح التسهيل : « وسأل الكسائي في حلقة يونس لم لا يجوز أعجبني أيهم قام فقال : أي كذا خلقت » أي كذا وضعت وقال ابن السراج موجهاً قول الكسائي بالمنع ما معناه إن أياً وضعت على العموم والإبهام فإذا قلت يعجبني أيهم يقوم فكأنك قلت يعجبني الشخص الذي يقع منه القيام كائناً من كان ولو قلت أعجبني أيهم قام لم يقع إلا على الشخص الذي قام فأخرجها ذلك عما وضعت له من العموم ولذلك يشترط في عاملها أن يكون مستقبلاً متقدماً عليها نحو « لننزعن من كل شيعة أيهم أشد » وذلك لأجل الفرق بين الشرطية والاستفهامية وبين الموصولة لأن الشرطية والاستفهامية لا يعمل فيهما إلا متأخر والمشهور عند الجمهور افرادها وتذكيرها وقد تؤنث وتثنى وتجمع عند بعضهم فتقول أية وأيان وأيتان وأيون وأيات وهي معربة فقيل مطلقاً وهو قول الخليل ويونس والأخفش والزجاج والكوفيين وقال سيبويه تبنى على الضم إذا أضيفت لفظاً وكان صدر صلتها ضميراً محذوفاً وقال الزجاج مستنكراً : ما تبين لي أن سيبويه غلط إلا في موضعين هذا أحدهما فإنه يسلم انها تعرب إذا أفردت فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت .

وزعم المانعون أن أياً في الآية استفهامية وانها مبتدأ وأشد خبره ثم اختلفوا في مفعول ننزع فقال الخليل محذوف والتقدير لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وقال يونس المفعول الجملة وعلقت ننزع عن العمل فيها وقال الكسائي والأخفش المفعول كل شيعة ومن زائدة وقد رد

ابن هشام هذه الاقوال كلها حيث قال ويرد أقوالهم أن التعليق مختص بأفعال القلوب وانه لا يجوز أن يقال لأضربن الفاسق بالرفع بتقدير الذي يقال فيه هو الفاسق وانه لم يثبت زيادة من في الايجاب .

ونورد هنا ما قاله أبو البقاء لوجازته وشموله قال « قوله أيهم أشد يقرأ بالنصب شاذاً والعامل فيه لننزعن وهي بمعنى الذي ويقرأ بالضم وفيه قولان : أحدهما انها ضمة بناء وهو مذهب سيبويه وهي بمعنى الذي وانما بنيت هاهنا لأن أصلها البناء لأنها بمعنى الذي ومن الموصولات إلا أنها أعربت حملاً على كل أو بعض فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الاعراب واذا حذف العائد عليها بنيت لمخالفتها بقية الموصولات فرجعت الى حقها من البناء بخروجها عن نظائرها وموضعها نصب بنزع الخافض ، والقول الثاني هي ضمة الاعراب وفيه خمسة أقوال أحدها انها مبتدأ وأشد خبره وهو على الحكاية والتقدير لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال أيهم فهو على هذا استفهام وهو قول الخليل والثاني كذلك في كونه مبتدأ وخبراً واستفهاماً إلا أن موضع الجملة نصب بننزعن وهو فعل معلق عن العمل ومعناه التمييز وهو قريب من معنى العلم الذي يجوز تعليقه كقولك علمت أيهم في الدار وهو قول يونس والثالث أن الجملة مستأنفة وأي استفهام ومن زائدة أي لننزعن كل شيعة وهو قول الأخفش والكسائي وهما يجيزان زيادة من في الواجب ، والرابع أن أيهم مرفوع بشيعة لأن معناه تشيع والتقدير : لننزعن من كل فريق يشيع أيهم وهو على هذا بمعنى الذي وهو قول المبرد والخامس أن ننزع علقت عن العمل لأن معنى الكلام معنى الشرط والشرط لا يعمل فيما قبله والتقدير لننزعنهم تشيعوا أم لم يتشيعوا أو ان تشيعوا ومثله لأضربن أيهم غضب أي ان غضبوا أو لم يغضبوا وهو قول يحيى عن الفراء وهو أبعدها عن الصواب » .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ
ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ
مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

اللغـــة :

(مقاماً) : بفتح الميم اسم مكان من قام أو مصدر ميمي وقرىء مقاماً بالضم فيكون أيضاً اسم مكان أو مصدراً ميمياً من أقام الرباعي المزيد والمراد ها موضع القوم .

(ندياً) : النــدي المجلس ومجتمـــع القوم وحيث ينتـــدون ويقال النادي .

(أثاثاً) : **الأثاث** : متاع البيت والمال ويقـــال أثّ يئث ويأث ويؤث أثاثاً وأثوثاً وأثاثة النبـــات أو الشعر : التفّ وكثر فهـــو أثّ وأثيث .

(رئياً) : فعل بمعنى مفعول ومعناه لمنظر فهو كالطحن والذبح بمعنى المطحون والمذبوح من رأيت على القلب كقولهم راء في رأى أو من الري الذي هو النعمة والترف من قولهم ريان النعيم •

الاعراب :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) الواو استئنافية واذا شرط مستقبل وجملة تتلى مضافة للظرف وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال من آياتنا أي واضحات مبينات المقاصد والمعاني وجملة قال الذين كفروا لا محل لها لأنها جواب • (للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) للذين آمنوا متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة وأي استفهامية مبتدأ وخير خبر ومقاماً تمييز وأحسن عطف على خير ونديا تمييز • (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً) كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا وأهلكنا فعل وفاعل ومن قرن تمييز غير صريح لكم لأن تمييز كم الخبرية كثير ما يكون مجروراً بمن وسيأتي تفصيل لذلك وهم مبتدأ وأحسن خبر والجملة في محل نصب صفة لكم الخبرية ألا ترى أنك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب أحسن على الوصفية هذا ما ذكره الزمخشري وتابعه أبو البقاء على أن هم أحسن صفة لكم ونص أصحابنا على أن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها ، وأثاثاً تمييز ورئياً عطف عليه ويجوز أن يكون صفة لقرن • (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً) من اسم شرط جازم مبتدأ وكان فعل الشرط وهو فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وفي الضلالة خبر كان والفاء رابطة للجواب واللام لام الأمر ويمدد

فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وله متعلقان بيمدد والرحمن فاعل ومداً مفعول مطلق . (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة) حتى حرف غاية وجر متعلق بالجواب وهو فسيعلمون وقيل مستأنفة أي تبدأ بعدها الجمل قال الشهاب في حاشية البيضاوي : وحتى هنا حرف ابتداء أي تبدأ بعدها الجمل أي تستأنف فليست جارة ولا عاطفة، وهكذا حيث دخلت على إذ الشرطية ، وجملة رأوا مضافة للظرف وما مفعول به وجملة يوعدون صلة وإما حرف شرط وتفصيل والعذاب والساعة بدل من ما والمعنى : يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكاناً وأضعف جنداً . (فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً) الفاء واقعة في جواب إذا وهذا ما يرجح جعل إذا للغاية وسيعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ومن موصولة مفعول به وهو مبتدأ وشر خبر والجملة صلة ويجوز أن تكون من استفهامية في محل رفع بالابتداء وهو مبتدأ ثان وشر خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر من وعندئذ تكون الجملة معلقة لفعل الرؤية فالجملة في محل نصب مفعول يعلمون . (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) لك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة ولك أن تجعلها عاطفة فتعطف الجملة على جملة الشرط المحكية بالقول أي وقل يزيد الله ويزيد الله الذين اهتدوا فعل مضارع وفاعل ومفعول به وجملة اهتدوا صلة وهدى تمييز أو مفعول به ثان ليزيد . (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً) والباقيات مبتدأ والصالحات صفة وخير خبر الباقيات وعند ربك الظرف متعلق بخير وثواباً تمييز وخير مرداً عطف على خير ثواباً أي مرجعاً وعاقبة ومغبة .

الفوائد :

١ ـ من الداخلة على التمييز :

اختلف في معنى من التي يصرح بها مع التمييز فقيل للتبعيض ولذلك لم تدخل في نحو طاب نفساً لأن نفساً ليست أعم من المبهم الذي انطوت عليه الجملة وقال الثلوبين : زائدة عند سيبويه لمعنى التبعيض ويدل على صحته انه عطف على موضعها نصباً قال الحطيئة :

طافت أمامة بالركبان آونةً يا حسنه من قوام ما ومنتقبا

وأمامة بضم الهمزة اسم امرأة وآونة بالمد نصب على الظرفية والشاهد في قوله من قوام فإنه تمييز جر بمن الزائدة في الكلام الموجب ولهذا عطف منتقباً على محلها بالنصب وما زائدة لتوكيد الكلام وقال ابن هشام : انها لبيان الجنس وقد سبقه الزمخشري الى ذلك لأن المشهور من مذاهب النحويين ما عدا الأخفش أن من لا تزاد إلا في غير الايجاب .

٢ ـ معنى التفضيل :

قيل : ما معنى التفضيل في قوله « والباقيات الصالحات خير ثواباً وخير مرداً » وهل ثمة من شك وهل للمفاخر شرك في الثواب والمرد وأجيب بجوابين أولهما انه من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره من الشتاء في برده وثانيهما أن اسم التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة لكلامهم السابق وقال الشهاب في حاشيته على البيضاوي : « وهذا جواب عما تخيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضي المشاركة وهم لا ثواب لهم وعاقبتهم لا خير فيها » .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

اللغــة :

(أطّلع) أصله أإطلــع حــذفت همزة الوصــل وبقيت همزة الاستفهام المفتوحة واطلع يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال اطلع الأمر وعليه : علمه ويقال أيضاً : إطّلع طِلْعَ العدو بكسر الطاء وسكون اللام عرف باطن أمرهم وقد توهم بعضهــم انه لا يتعــدى إلا بعلى فأعرب الغيب بنزع الخافض وإنما هو من قولهــم اطلع الجبل إذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير :

إني إذا مضــر عليّ تحدثت　　　لاقيت مطلـــع الجبال وعورا

فمطلع اسم مكان من اطّلع المشدّد أصله اطتلع على بناء الافتعال فقلبت التاء طاء وأدغمت فيما قبلها وهو في البيت نصب عــلى الظرفية والوعور جمع وعر أي صعب مفعول لاقيت أو مطلع هو المفعول به

ووعوراً حال يقول : إذا تقولت على مضر مالا أرتضيه أو حدثتها نفسها بقتلي تمرست بالصعاب ولا أبالي بها وسيأتي مزيد بحث عن استعمالها في الآية في باب البلاغة .

(ونمد) : مضارع مد الشيء يمدُّه من باب نصر أطاله وبسطه وجذبه ومدّ الحبل فامتدّ وهذا ممدّ الحبل قال ابن مقبل :

وللشمس أسباب كأن شعاعها مَمَدّ حبال في خباء مطنّب

وتمدّد الأديم وطراف ممدّد وأمد الجيش وضم إليه ألف رجل مدداً وللميم مع الدال خاصة التمدد كأن أصل المادة يشمل غيرها من الفروع وهذه من ميزات لغتنا العربية الخالدة ويقال مدحه وامتدحه أطال الثناء عليه ، ومدخ فلاناً بالخاء المعجمة أمده بالعون خيراً كان أم شراً عمله ، وتمدخ تكبر وتطاول ولا يخفى مافي الكبرياء والتطاول من تمدد وانتفاخ ، ومدر المكان طاله وامتد اليه ومدر الحوض شد خصاص حجارته بالمدر وهو الطين العلك الذي لا يخالطه رمل وهو سريع الامتداد إذا طينت به الحائط أو سيعته ، ومدس الجلد ونحوه دلكه ليمتد ، ومدشت عينه : امتد عليها الظلام وارتخى عصبها ومدشت يده نحلت وضؤلت فظهرت للرائي ممتدة لقلة اللحم عليها ، والمدش بفتحتين ظلمة تمتد على العين من جوع ورخاوة عصب اليد وتسدل بالمنديل شده على رأسه أو اعتم به وهو قريب من معنى الامتداد ، ومدّن المدائن بناها ومصرها وجدد بناءها فامتدت عرضاً وطولاً والمدينة مجتمع بيوت زادت وامتدت فسميت مدينة ومنها سميت مدينة يثرب ومدينة السلام أي بغداد والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى وسميت بالجمع لكبرها وامتدادها وفيها يقول البحتري سينيته ويشير اليها بقوله :

حضرت رحلي الهموم فوجهــــــت الى أبيض المدائن عنسي
أتسـلى عن الهمـوم وآسى لمحـل من آل ساسان درس

ومدهه أي مدحه وقد تقدم والمدى الغاية الطويلة الممتدة وأمدى فلاناً وماداه أمهله وأمدى الرجل تقدمت به السن وامتدت وتمادى في غيه دام على فعله وامتد في فجوره والمدية بضم الميم الشفرة الكبيرة الممتدة وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة .

(ونرثه) : أي نسلبه منه ونأخذه بأن نخرجه من الدنيا خالياً من ذلك والمراد نزوي عنه ما يقوله من أنه سيناله في الآخرة .

(تؤزهم) : الأز : الاستفزاز والتهييج وشدة الازعاج وهذه من أغراب مواد اللغة العربية كلها تدل عـلى هذا المعنى والأز أيضاً شدة الصوت ومنه أز المرجل أزاً وأزيزاً أي غـلا واشتد غليانه حتى سمع له صوت وفي الحديث « فكان له أزيز » وفي القاموس : وأزت القدر تؤز بالضـم وتئز بالكسر أزاً وأزيزاً وأزازاً بالفتح اشتد غليانها وأز النار أوقدها وأز الشيء حركه شديداً » وفي اللسان والأساس وغيرهما: هالني أزيز الرعد وصدّعني أزيز الرحى وهزيزها وأزه على كـذا : أغراه به وحمله عليه بازعاج وهو يأتز من كذا : يمتعض منه وينزعج وتأزر المجلس هاج بمن فيه جميع ذلك يدل على الحركة والانزعاج ، وأزب الماء يأزب بالضم والكسر جرى مسـرعاً والمئزاب مجرى الماء والجمع مآزيب ، وأزج البيت بناه طولاً وعرضاً ، وأزحت قدمه زلت ، وأزر يأزر بالكسـر بالشيء أحـاط به والنبات التف وآزره مؤازرة عاونه وبادر الى إغاثته والأزر القوة والظهر يقال شد به أزره أي ظهره والمئزر معروف ويقال شد للأمر مئزره إذا تشمر له وسارع اليه ، وأزف

يأزف بالفتح أزَفاً وأزوفاً اقترب وأزف الرجل عجل وآزفه إنزافاً أعجله وأزفت الآزفة اقتربت القيامة وفلان يمشي الأزفى بثلاث حركات أي يمشي سريعاً ، والمأزق المضيق وموضع الحرب ، وأزَل يأزِل وقع في ضيق وشدة ، وأزمه أزْماً وأزوماً عضه والحبل أحكم فتله وتأزم القوم أصابتهم أزمة والأزمة بفتح الهمزة وسكون الزاي والآزمة الشدة والضيقة وأزى الرجل حاذاه وداناه وجلس ازاءه أي أمامه وفي كل ذلك ما يدل على الحركة وحرف الزاي اجمالاً يدل على ذلك وما هو قريب منه وسيأتيك ما هو معجب من غريب أمره •

(وولدا) : الولد اسم مفرد قائم مقام الجمع والولد بضم الواو وسكون وقد قرىء بها بمعنى الولد فهما لغتان وقيل بل هي جمع لولد نحو أُسْد وأَسد وعُرْب وعَرب •

الاعراب :

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً) الهمزة للاستفهام التعجبي والفاء على حالها من التعقيب كأنه قال أخبرك أيضاً بقصة هذا الكافر عقب حديث أولئك ورأيت هنا بمعنى أخبرني وقد تقدم بحثها مفصلاً والذي هو مفعولها الأول وجملة كفر بآياتنا صلة وقال عطف على كفر ، لأوتين اللام جواب لقسم مقدر ونائب الفاعل مضمر تقديره أنا ومالاً مفعول به ثان لأوتين وولداً عطف على مالاً • (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) الهمزة للاستفهام واطلع فعل ماض وفاعله هو يعود على الكافر قيل هو العاصي بن وائل وستأتي قصته في باب الفوائد وأم حرف عطف معادل للهمزة واتخذ فعل ماض وفاعله مستتر يعود عليه وعند الرحمن مفعول به ثان لاتخذ وعهداً مفعول به أول •

(كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً) كلا حرف ردع وزجر وفيها أقوال كثيرة سنوردها في باب الفوائد وسنكتب فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وصدره بالسين من باب ما يقوله المتوعد لخصمه سوف أنتقم منك يعني لا تغتر بطول الزمان فإن الانتقام آتيك أو سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا ، وما مفعول به وجملة يقول صلة ونمد عطف على نكتب وله متعلقان بنمد ومن العذاب حال لأنه كان صفة لمداً ومداً مفعول مطلق أو مفعول به ان كان بمعنى المدد .
(ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) ونرثه عطف على نمد والفاعل نحن والهاء منصوب بنزع الخافض وما مفعول به والتقدير ونرث منه ما يقوله ويجوز أن تكون الهاء هي المفعول به وما بدل اشتمال من الهاء والمعنى نرث ما عنده من المال والأهل والولد وجملة يقول صلة ويأتينا عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره هو ونا ضمير فصل فاعل وفرداً حال (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً) واتخذوا فعل وفاعل وحذف المفعول الأول وهي الأوثان المفهومة من سياق الحديث ومن دون الله حال وآلهة هي المفعول الثاني ، ليكونوا اللام لام التعليل ويكونوا فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو اسمها ولهم حال وعزاً خبر يكونوا . (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) كلا تقدم أنها حرف ردع وزجر لتعززهم بها سيكفرون فعل مضارع مرفوع وبعبادتهم متعلقان بيكفرون أي سيجحدون عبادتها وينكرونها ، فالمصدر أضيف الى مفعوله ويكونون عطف على يكفرون والواو اسمها وعليهم حال وضداً خبر يكونون ووحّده وهم جمع لمحاً لأصله لأنه في الأصل مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع أو لأنه مفرد في معنى الجمع وللزمخشري في توحيد الضد كلام حسن سننقله في باب البلاغة . (ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على

الكافرين تؤزهم أزاً) ألم الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله أنت وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة أرسلنا خبرها والشياطين مفعول به وجملة تؤزهم حالية وأزاً مفعول مطلق • (فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذا كله فلا تعجل وعليهم متعلقان بتعجل وإنما كافة ومكفوفة وجملة نعد لهم حالية وعداً مفعول مطلق •

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية :

١ ـ الاستعارة المكنية في قوله « اطلع الغيب » فقد شبه الغيب المجهول الملثم بالاسرار بجبل شامخ الذرا لا يرقى الطير الى مداه فهو مجهول تتحطم عليه آمال الذين يريدون استشفاف آفاقه وادراك تهاويله ثم حذف الجبل أي المشبه به وأخذ شيئاً من خصائصه ولوازمه وهو الاطلاع والارتقاء واستشراف مغيباته والغرض من هذه الاستعارة السخرية البالغة كأنه يقول أوبلغ هذا مع حقارته وتفاهة أمره وصغار شأنه أن ارتقى الى الغيب المحجب بالاسرار المطلسم بالخفاء ؟

٢ ـ توحيد الضد :

قال الزمخشري : « فإن قلت : لم وحّد ؟ قلت وحّد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام « وهم يد على من سواهم » لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامنهم وتوافقهم » والواو في يكفرون يجوز أن تعود على الآلهة أي يجحدون عبادتهم لها أو للمشركين أي ينكرونها لسوء المغبة والمصير •

الفوائـد :

أوجـه كلاّ :

للنحاة في هذه اللفظة مذاهب ستة :

١ً ـ مذهب جمهور البصريين كالخليـل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس المبرد أنها حرف ردع وزجر وهذا معنى لائق بها حيث وقعت في القرآن الكريم وقد زجر بها العشاق لائميهم فقال أحدهم وهو عروة بن أذينة على الأرجح :

يقلن لقد بكيت فقلت : كلاّ   وهل يبكي من الطرب الجليد؟
ولكن أصـاب سواد عيـني   عويد قذى له طرف حـديد
فقلن فمـا لدمعهمـا سواء   أكلتا مقلتيك اصاب عـود ؟

٢ً ـ مذهب النضر بن شميل أنهـا حرف تصديق بمعنى نعـم فتكون جواباً ولا بد حينئذ من شيء يتقدمها لفظاً أو تقديراً.

٣ً ـ مذهب الكسائي وأبي بكر بن الأنباري ونصر بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقاً .

٤ً ـ مذهب أبي عبد الله الباهلي أنها رد لما قبلها وهذا قريب من الأول .

٥ً ـ انها صلة في الكلام بمعنى إي كذا قيل وفيه نظر فإن إي حرف جواب مختص بالقسم .

٦ً ـ انها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم .

هذا وقد ذكرت كلا في خمسى عشرة سورة مكية وجملة ما ذكرت ثلاث وثلاثون مرة .

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

اللغــــة :

(وفداً) : الوفد مصدر وفد يفِد وفْداً ووفوداً ووفادة وإفادة .

إلى أو على الأمير قدم وورد رسولاً فهو وافد ، وجمع وافد وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد ويفدون على الأمير ونحوه •

(ورداً) : القوم الواردون الى المـاء عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش •

(إداً) : بالكسر والفتح العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وآدني الأمر أثقلني وعظم علي إداً وفي القاموس « الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالأد بالفتح وأدته الداهية تؤده بالضم وتئده بالكسر وتأده بالفتح دهته » •

(وداً) : مودة ومحبة وفي المصباح « ووددته أوده من باب تعب وداً بفتح الواو وضمها أحببته والاسم المودة ووددت لو كان كذا أيضاً وداً وودادة تمنيته » وفي المختار : « الود بضم الواو وفتحها وكسرها المحبة فهي مثلثة الواو والأرجح الضم وبها قرأ السبعة وقرىء في غير السبعة بفتحها وكسرها ويحتمل أن يكون المفتوح مصدراً والمضموم والمكسور اسمين » •

(لداً) : جمع ألد أي شديد الخصومة وجميل قول الزمخشري : « اللد الشداد والخصومة بالباطل الآخذون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم » وفي الأساس : « رجل ألد وألندد ويَلَنْدد وفيه لدد وقوم لُدّ ولادّه ملادة ولداداً وهو شديد اللداد وتركت فلاناً يتردد ويتلدد يتلفت وضربه على لديديْ عنقه وهما صفحتاها وضربه على متلدّده على عنقه قال :

ولو شئت نجتـني من القـوم جسرة

بعيـدة بـين العجب والمتلـدّد

(ركزاً) : الركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون •

(وتحس) : بضم التاء مضارع أحسّ وفي المصباح : « الحس والحسيس الصوت الخفي وحسه حساً فهو حسيس مثله قتله قتلاً فهو قتيل وأحس الرجل الشيء احساساً علم به يتعدى بنفسه مع الألف قال تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، وربما زيدت فيه الباء فقيل أحس به على معنى شعر به وحسست به من باب قتل لغة فيه والمصدر الحس بالكسر يتعدى بالباء على معنى شعرت أيضاً » •

الاعراب :

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً) الظرف منتصب بفعل محذوف قدره بعضهم باذكر وقدره الزمخشري بقوله « نصب يوم بمضمر أي يوم نحشر ونسوق تفعل بالفريقين مالا يحيط به الوصف » وقال غيره العامل فيه قوله فيما بعد « لا يملكون » وجملة نحشر مضافة الى الظرف وفاعل نحشر ضمير مستتر تقديره نحن والمتقين مفعول به والى الرحمن متعلقان بنحشر ووفداً حال وقد تكرر ذكر الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة • (ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً) عطف على الجملة السابقة ووردا حال أيضاً أي واردين كما يرد العطاش اليهم مشاة عطاشاً يكاد يقتلهم الظمأ • (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم ولا علاقة لها بالفريقين المتقدمين فلا نافية ويملكون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل تعود على الناس كلهم والشفاعة مفعول به وإلا أداة حصر ومن اسم موصول محله الرفع على البدل من

الواو أو النصب على الاستثناء المتصل وجملة اتخذ صلة وعند الرحمن ظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لاتخذ وعهداً هو المفعول الأول واختار أبو البقاء والزمخشري أن يكون الاستثناء منقطعاً هذا وقد اضطربت الاقوال في هذه الآية ولهـذا سنفرد بها بحثاً خاصاً في باب الفوائد • (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) جملة اتخذ الرحمن ولداً مقول القول واتخذ الرحمن ولداً فعل وفاعل ومفعول به• (لقد جئتم شيئاً إداً) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وجئتم فعل وفاعل وشيئاً مفعول به وإداً صفة • (تكـاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هداً) تكاد من أفعال المقاربة العاملة عمل كان والسموات اسمها وجملة يتفطرن خبرها والنون فاعل ومنه جار ومجرور متعلقان بيتفطرن وتنشق الارض فعل مضارع وفاعل وتخر الجبال فعل مضارع وفاعل وهداً مصدر في موضع الحال أي مهدودة أو مفعول مطلق لأنه مصدر على غير لفظ الفعل وانما هو مرادفه لأن الخرور هو السقوط والهدم واختار الزمخشري أيضاً أن يكون مفعولا لأجله أي لأن تهد وهـدّ يستعمل متعدياً ولازماً فعلى الوجه الاول هو متعد لأنه صيغ منه معنى اسم المفعول وعلى الثاني هو لازم لأن خر لازم ومرادفه يجب أن يكون مثله فتأمل هذا فانه دقيق • (أن دعوا للرحمن ولداً) أن ومافي حيزها مصدر فيه ثلاثة أوجه البدلية من الهاء في منه فهو كقوله :

على حالة لو أن في القوم حاتماً   عـلى جوده لضنّ بالماء حاتم

فقد روي حاتم مجروراً لأنه بدل من ضمير جوده وسنتحدث في باب الفوائد عن هذا البيت والنصب بنزع الخافض والجار والمجرور في محـل نصب مفعول لأجله علل الهدّ بدعـاء الولـد للرحمن والرفـع بأنه فاعـل هداً أي هدها دعـاء الولـد للرحمن •

ودعوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين وللرحمن متعلقان بدعوا وولداً مفعول دعوا الثاني والأول محذوف تقديره معبودهم لأن معنى دعوا سموا وهي تتعدى لاثنين ويجوز دخول الباء على الثاني تقول دعوت ولدي بزيد ودعوت ولدي زيداً ، وقال الشاعر :

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضع لها بلبان

وقال آخر :

ألا رب من يدعى نصيحاً وإن يغب
تجده بغيب منك غير نصيح

وقال الزمخشري : « اقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلباً للعموم والإحاطة بكل ما دعا له ولداً ، أو من دعا بمعنى الذي مطاوعه مافي قوله عليه السلام : من ادعى إلى غير مواليه وقول الشاعر :

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو لا بالأبناء يشرينا

أي لا تنسب إليه » . (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) الواو حالية أو عاطفة وما نافية وينبغي فعل مضارع وللرحمن متعلقان به وأن يتخذ مصدر مؤول في محل رفع فاعل وولداً مفعول به . (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) إن نافية وكل مبتدأ ومن مضاف اليه وفي السموات والارض متعلقان بمحذوف صلة من ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة بالجار والمجرور لأنها وقعت بعد كل نكرة ولعله أولى وإلا أداة حصر وآتي الرحمن خبر وعبداً حال

من الضمير المستتر في آتي • (لقد أحصاهم وعدهم عداً) اللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأحصاهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وعدهم عطف على أحصاهم وعداً مفعول مطلق • (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) الواو عاطفة وكلهم مبتدأ وآتيه خبر ، وكل إذا أضيف الى معرفة ملفوظ بها نحو كلهم وكل الناس فالمنقول أنه يجوز أن يعود الضمير مفرداً على لفظ كل فتقول كلكم ذاهب ويجوز أن يعود جمعاً مراعاة للمعنى فتقول كلكم ذاهبون أما إن حذف المضاف المعرفة فالمسموع من العرب الوجهان لأن الأول أنكره بعضهم ، ويوم القيامة ظرف متعلق بآتيه وفرداً حال • (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على آمنوا وجملة سيجعل خبر ان ولهم مفعول يجعل الثاني والرحمن فاعل ووداً مفعول يجعل الاول وهذا الجعل بالنسبة للدنيا طبعاً أي يزرع في قلوبهم مودة من غير تودد منهم • (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً) الفاء الفصيحة لأنها عطفت على مقدر كأنه قيل بلغ هذا المنزل عليك وبشر به وأنذر فإنما يسرناه وانما كافة ومكفوفة وقد أفادت التعليل لهذا المقدر ويسرناه فعل ماض وفاعل ومفعول به وبلسانك متعلقان بمحذوف حال أي جارياً ، لتبشر اللام للتعليل وتبشر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وبه متعلقان بتبشر والمتقين مفعول به وتنذر معطوف وبه متعلقان بتنذر وقوماً مفعول به ولداً صفة • (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) كم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا ومن قرن تمييز وقد تقدم تقريره والمراد أمة• (هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً) هل حرف للاستفهام الانكاري وتحس فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ومنهم حال لأنه كان صفة لأحد ومن حرف جر زائد وأحد

مجرور بمن لفظاً مفعول به منصوب محلاً أو حرف عطف وتسمع عطف على تحس ولهم حال وركزاً مفعول به •

البلاغـة :

انطوت خواتيم سورة مريم على فنون عديدة :

أولها : التكرار فقد تكرر ذكر الرحمن كما قلنا ست عشرة مرة في السورة معظمهـا في خواتيمها والفائدة فيه انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره وخلق لهم جميع متطلباتهـم التي بها قوام معايشهم فهـل اعتبر الانسان ؟ أم لا يزال الغطاء مسدولاً على عينيه والوقر يغشى أذنيه ؟ فمن أضاف اليه ولـداً جعله كالاناسي المخلوقة وأخرجه بذلك عن استحقاق هذا الاسم الجدير به وحده •

وثانيها : الالتفات في قوله « لقـد جئتم » التفت من الغيبة الى الخطـاب لمشافهتهم بالأمر المنكر الـذي اجترحوه ، والبدع العجيب الذي ارتكبوه •

الفوائـد :

١ ــ قلنا ان أقوال المعربين اضطربت في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الى آخر الآية وقد اخترنا ما رأيناه ــ في نظرنا ــ أمثل الأوجه وننقل فيما يلي لمعاً من أقوالهم مع التعليق عليها بما يناسب المقام فقـد تورط الزمخشري ، وجلّ المعصوم ، بقوله « ويجوز أن تكون ــ أي الواو في يملكـــون ــ علامة للجمـع كالتي في أكلوني البراغيث » من جهتين الأولى إنه نسب الى القرآن وهو أبلغ الكلام أردأ اللغات

وأشدها نكراً حتى لقد ضرب المثل بقبحها والثانية انه إذا جعله علامة لمن فقد كشف معناه وأفصح بأنها متناولة جمعاً ثم أعاد على لفظها بالإفراد ضمير اتخذ ففيه الاعادة على لفظها بعد الاعادة على معناها بما يخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لأنه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس على طريق البلاغة وانما محجتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال .

وقال البيضاوي : « إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً » إلا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله تعالى أو إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى : « لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن » من قولهم عهد الأمير الى فلان بكذا إذا أمره به ومحل الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أي إلا شفاعة من اتخذ » وهو شبيه بالرأي الذي جنحنا اليه إلا أنه جنح الى القول بأن الاستثناء منقطع . وعبارة أبي حيان : « والضمير في لا يملكون عائد على الخلق الدال عليهم ذكر المتقين والمجرمين إذ هم قسماه والاستثناء متصل ومن بدل من ذلك الضمير أو نصب على الاستثناء ولا يملكون استئناف اخبار » ثم أورد أقوالاً عديدة نضرب عنها صفحاً .

وقال أبو البقاء « لا يملكون حال إلا من اتخذ في موضع نصب على الاستثناء المنقطع وقيل هو متصل على أن يكون الضمير في يملكون للمتقين والمجرمين وقيل هو في موضع رفع بدلاً من الضمير في يملكون ».

وفي الكرخي شارح الجلالين « قوله أي الناس قدره تمهيداً لجعل الاستثناء في قوله إلا من اتخذ متصلاً لدلالة ذكر الفريقين المتقين والمجرمين إذ هما قسماه وقيل ضمير يملكون عائد على المجرمين المراد بهم الكفار ، قال بعضهم لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم كما يملك المؤمنون » وحسبنا ما تقدم فقد طال مجال القول .

٢ ـ عودة الى بيت الفرزدق :

ونعود الى بيت الفرزدق وهو من أبيات له يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري حين ضل عن الطريق والابيات هي :

فلما تصافنا الأداوة أجهشت الى غضون العنبري الجراضم

فجاء بجلمود له مثل رأسه ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على حالة لو أن في القوم حاتماً على جوده لضنّ بالماء حاتم

والتصافن اقتسام الماء القليل بالصفن وهو وعاء صغير لنحو الوضوء والأداوة ظرف الماء وجمعها أداوى وايقاع التصافن عليها مجاز لأنها محل الماء والمراد تقاسمنا الماء فهو مجاز مرسل علاقته المحلية والجهش والاجهاش تضرع الانسان الى غيره وتهيئته للبكاء اليه كالصبي الى أمه ، وغضون الجلد مكاسره ، وإسناد الاجهاش اليها مجاز عقلي أو مجاز مرسل علاقته المحلية أيضاً لأنها محل ظهور أثره والجراضم واسع البطن كثير الأكل والمراد بالجلمود إناء صلب كبير مثل رأسه أي رأس العنبري وفيه إشارة بارعة إلى حمقه لأن افراط الرأس في العظم أمارة البلادة وفي الصلابة أيضاً اشارة الى ذلك وقوله بين الصرائم جمع صريمة وهي منقطع الرمل إشارة الى أنهم كانوا في مفازة عمياء لا ماء بها على حالة ضنكة بحيث لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء وعلى بمعنى في ورواية المبرد في كامله على ساعة .

سورة طه

مكية وآياتها خمس وثلاثون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ﴿١﴾ ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى ﴿٢﴾ إلا تذكرة لمن يخشى ﴿٣﴾ تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ﴿٤﴾ الرحمن على العرش استوى ﴿٥﴾ له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴿٦﴾ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴿٧﴾ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴿٨﴾

اللغـــة :

(العلا) : ويجوز كتابتها بالياء والألف لأن الفعل علا يعلو وعلي يعلى وهي المرتبة والرفعة وقال السيوطي وأبو البقاء : هي جمع عليا ككبرى وكبر فكتبت بالياء .

(استوى) : لها في اللغة معان كثيرة قال في القاموس : « استوى الشيء اعتدل واستقام يقال : سويت الشيء فاستوى واستوى الرجل :

استقام أمره وانتهى شبابه وبلغ أشده ، واستوى عليه : ظهر واستولى واستوى على ظهر الدابة استقر ، يقال : استوى على سرير الملك كناية عن التملك واستوى الى الشيء قصده واستوت به الأرض هلك ودفن فيها واستوى الطعام نضج • وأصل الفعل الثلاثي سوِي يَسْوَى سوىً الرجل : استقام أمره •

وقال في الأساس : « استوى الشيئان وتساويا وساوى أحدهما صاحبه وفلان يساويك في العلم وساوى بين الشيئين وسوّى بينهما وساويت هذا بهذا وسويته قال الراعي :

بجُردٍ عليهنّ الأجلّة سُوّيت

بضيف الشتاء والبنين الأصاغر

أي يصونها صيانة الضيوف والأطفال وسويت المعوج فاستوى ورزقك الله تعالى ولداً سوياً لا داء به ولا عيب وهما على سوية من الأمر وسواء وفيه النصفة والسوية وهما سَواء وهم سواسية في الشر وأنتما سيان وما هو بسيّ لك وفعل القوم كذا ولا سيما زيد ومكان سِوىً : وسط بين الحدين وجاءوا سوى فلان وسَواءَه « فرآه في سَواء الجحيم » في وسطها وضرب سواءَه وسطه وضربه على مستوى مَفْرِقه قال بعض بني أزنم :

نحن من خير مَعَدٍّ نسبا ولنا قِدْماً على الناس المَهَل

إذ ضربنا الصِّمة الخير على مستوى مفرقه حتى انجدل

ورجل سَواء القدم : مستويها ليس لها أخمص ، ومن المجاز : إذا صليت الفجر استويت اليك قصدتك قصداً لا ألوي على شيء

« ثم استوى الى السماء » واستوى على الدابة والفراش والسرير وانتهى شبابه واستوى واستوى على البلد » وسيأتي المراد به في الآية في باب البلاغة .

(الثرى) : في المصباح : « الثرى وزان الحصى ندى الأرض ، وأثرت الأرض بالألف كثر ثراها والثرى أيضاً : التراب الندي فإن لم يكن ندياً فهو تراب ولا يقال لـه حينئذ ثرى » وفيه أيضاً : « نديت الأرض ندى من باب تعب فهي ندية مثل تعبة ويعدّى بالهمز والتضعيف وأصابها نداوة ونُدوة بالضم والتثقيل » وفي الأساس واللسان وغيرهما : « شهر ثَرَى ، وشهر تَرَى ، وشهر مَرْعى أي تكون الأرض ندية أولاً ثم ترى الخضرة ثم يطول النبات حتى يصلح للراعية وثَرَى المطر التراب يثريه وهو مَثْري وثرِي التراب فهو ثَرٍ وثرّيت التراب نديته وثرّيت السويق » .

(وأخفى) سيأتي الكلام فيها في باب الاعراب .

الاعراب :

(طـه) تقدم القول في فواتح السور واعرابها . (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ما نافية وأنزلنا فعل وفاعل وعليك متعلقان بأنزلنا والقرآن مفعول به ولتشقى اللام للتعليل وتشقى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وسيأتي المراد بالشقاء في باب الفوائد . (إلا تذكرة لمن يخشى) إلا أداة حصر وتذكرة مفعول لأجله والاستثناء منقطع ، قال أبو البقاء ولا يجوز أن يكون مفعولاً من أجله لأنزلنا المذكورة لأنها قد تعدت الى مفعول له وهو لتشقى فلا تتعدى الى آخر من جنسه ولا يصح أن يعمل فيها لتشقى لفساد المعنى ، وقيل تذكرة

مصدر في موضع الحال واختار الزمخشري أن تكون تذكرة مفعولاً لأجله قال : « وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل إلا أن الأول وجب مجيئه مع اللام لأنه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماع الشرائط » وعلى هذا جرى معظم المعربين والمفسرين ، قال الكرخي في تعليقه على عبارة الجلال السيوطي : « أشار الى أن الاستثناء منقطع وأن تذكرة مفعول من أجله والعامل أنزلناه المقدر لا المذكور وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة لقوله ما أنزلنا وتعدى في لتشقى باللام لاختلاف العامل لأن ضمير أنزلنا لله وضمير لتشقى للنبي فلم يتحد الفاعل واتحد في تذكرة لأن المذكر هو الله تعالى وهو المنزل فنصب بغير لام » وأنكر أبو علي الفارسي أن يكون مفعولاً لأجله أو بدلاً من لتشقى قال وانما هو منصوب على المصدرية أي أنزلناه لتذكر به تذكرة ، وإنما أوردنا هذه الأقوال على تباينها وتدافعها لأننا لم نستطع الترجيح بينها .

(تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى) مفعول مطلق لفعل محذوف وتقديره نزلناه تنزيلاً فحذف وجوباً على حد قول ابن مالك :

والحذف حتم مع آت بدلا   من فعله كندلاً اللذ كاندلا

وأجاز الزمخشري فيه وجوهاً كلها واردة فقال « في نصب تنزيلاً وجوه : أن يكون بدلاً من تذكرة إذا جعل حالاً لا إذا كان مفعولاً له لأن الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمراً وأن ينصب بأنزلنا لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة ، وأن ينصب على المدح والاختصاص ، وأن ينصب بيخشى مفعولاً به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين » وممن متعلقان بتنزيلاً وجملة خلق الأرض والسموات صلة والعلى صفة . (الرحمن

على العرش استوى) الرحمن خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أو مبتدأ وعلى العرش متعلقان باستوى وجملة استوى خبر ثان لـ « هو » المقدرة أو خبر الرحمن وسيأتي معنى الاستواء على العرش في باب الفوائد .
(له مافي السموات ومافي الأرض ومابينهما وماتحت الثرى) له خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة ومافي الارض عطف على مافي السموات وما بينهما كذلك وما عطف على ما وتحت الثرى ظرف متعلق بمحذوف صلة ما . (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) الواو استئنافية مسوقة لبيان شرع الله تعالى في دعائه وان شرطية وتجهر فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره أنت وبالقول جار ومجرور متعلقان بتجهر فإنه الفاء رابطة لأن الجواب جملة اسمية وان واسمها وجملة يعلم السر خبرها وأخفى عطف على السر أي أخفى منه فهو اسم تفضيل من خفي بمعنى استتر وغاب وأجاز بعضهم أن يكون فعلاً ماضياً أي وأخفى الله عن عباده غيبه وعندنا أن ذلك غير جائز لأنه من جهة اللفظ يلزم منه عطف الفعلية على الاسمية إن كان المعطوف عليه هو الجملة الكبرى أو عطف الماضي على المضارع إن كان المعطوف عليه الجملة الصغرى وكلاهما دون الأحسن ومن جهة المعنى واضح أن المقصود الحض على ترك الجهر باسقاط فائدته من حيث إن الله يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما إذا جعل فعلاً فيخرج عن مقصود السياق ، واعلم أنهم قد يحذفون من من افعل إذا أريد به التفضيل ومعنى الفعل وهم يريدونها فتكون كالمنطوق بها نحو زيد أكرم وأفضل فلم تأت بألف ولام كما لم تأت بها مع من لأن الموجود حكماً كالموجود لفظاً أي : يعلم السرّ وأخفى منه والذي يدل على ارادة من أن أخفى لا ينصرف كما لا ينصرف آخر من قولك مررت برجل آخر إذا أردت من معه وإن لم تذكره وانما

نكره للمبالغة في الخفاء • (الله لا إلـه إلا هو له الاسماء الحسنى) الله مبتدأ وجملة لا إله إلا هو الاسمية خبر وقد تقدم اعراب لا إله إلا هو مفصلاً وله خبر مقـدم والاسماء مبتدأ مؤخر والحسنى صفة للأسماء والجملة خبر ثان • ومعلوم أن جمع التكسير في غير العقلاء يعامل معاملة المؤنثة الواحدة •

الفوائـد :

١ ـ روى التاريخ : ان أبا جهـل والنضر بن الحارث قالا له : إنك شقي لأنك تركت دين آبائك فأريد رد ذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السلّم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدّت قدماه أي تورمت كما في الصحاح فقال له جبريل عليه السلام أبق عـلى نفسك فإن لها عليك حقاً ويحتمـل أن يراد لا تتعب نفسك بفرط أسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ ، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا بعـد ان لم تفرط في أداء الرسالة واسداء الموعظـة الحسنة • والشقاء يجيء في معنى التعب قال ابن كيسان : « وأصل الشقاء في اللغة العناء والتعب ومنه قول المتنبي :

ذو العقـل يشقى في النعيـم بعقله
وأخو الجهالـة في الشقـاوة ينعـم

٢ ـ الاستثناء المنقطع :

استثناء الشيء من غير جنسه لامعنى له ولا مورد من ذلك فليست فيه « إلا » للاستثناء على سبيل الأصل وانما هي بمعنى « لكن » وهو

ما يسمونه « الاستثناء المنقطع » ومع ذلك فلا بد من الارتباط بين المستثنى منه والمستثنى ومن ذلك قوله تعالى « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى » أي لكن أنزلناه تذكرة فتذكرة مستثنى من المصدر المؤول من تشقى بأن المضمرة بعد لام التعليل لأن المعنى ما أنزلنا القرآن لشقائك .

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

اللغــة :

(آنست) : أبصرت والايناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يبصر به الاشياء وقال جرير :

إن العيــون الــتي في طرفهــا حور

قتلننا ثــم لــم يحيــين قتــلانا

يصــرعن ذا اللب حتى لا حراك بــه

وهــن أضعف خلق اللــه انسانا

وفي قوله إنسانا تورية بديعة •

(بقبس) : القبس : الجذوة من النار •

(طوى) : اسم علم للوادي ويقرأ بغير تنوين على أنه معرفة مؤنث علم للبقعة وقيــل هو معدول وإن لم يعرف لفظ المعــدول عنه فكأن أصله طاوي فهو في ذلك كجمع وكتع وقال في القاموس : « وطوى بالضم والكسر وينون وادٍ بالشام » وقال علماء النحو : وأما طوى فمن منع صرفه فالمعتبر فيه التأنيث باعتبار البقعة لا العدل عن طاو ولأنه أي العدل قد أمكن غيره وهو التأنيث فلا وجه لتكلف العدل •

(أخفيها) : سيأتي الكلام عنها في الاعراب •

(فتردى) : في المختار : ردى من باب صدى أي هلك وأرداه غيره وردى في البئر تردى يردي إذا سقط فيها أو تهور من جبل •

الاعراب :

(وهل أتاك حديث موسى) الواو للاستئناف والجملة استئنافية مسوقة لسرد قصة موسى ليتأسى به النبي صلى الله عليه وسلم في تحمل

أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر عــلى مقاساة الشدائد ومعاناة الأهوال ، وأتاك فعل ومفعول به وحديث موسى فاعــل والاستفهام للتقرير ومعناه أليس قد أتاك حديث موسى ؟ وقيــل معناه : قد أتاك حديث موسى • (إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا إني آنست ناراً) الظرف متعلق بالحديث لأنه حدث أو بمضمر تقديره اذكر وجملة رأى مضاف اليها الظرف وناراً مفعول به فقال عطف على رأى ولأهله متعلقان بقال وجملة امكثوا مقول القول وجملة إني تعليل للأمر بالمكوث وان واسمهــا وجملة آنست خبرها وناراً مفعول به • (لعلي آتيكم منهــا بقبس أو أجد على النار هدى) لعل واسمها وجملة آتيكم خبرها ومنها متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لقبس أو حرف عطف وأجد معطوف على آتيكم وفاعل أجد مستتر تقديره أنا وعلى النار جار ومجرور متعلقان بأجد وهي على مكانها للاستعلاء على حد قول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفــاع تحرق

تشـــب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

أي أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد • وهدى مفعول به أي يهديني الطريق ويدلني عليهــا قــال الفراء : أراد هادياً فذكره بلفظ المصدر أو عبر بالمصدر لقصد المبالغة على حذف المضاف أي ذا هدى • (فلما أتاها نودي يا موسى) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فيمم شطر النار ولما ظرفية حينية أو رابطة وأتاها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة نودي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ويا موسى حرف نداء ومنادى • (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) إن واسمها وأنا تأكيــد للضمير أو مبتــدأ وربك خبر إني أو خبر أنا

والجملة خبر إن والأول أولى ، فاخلع الفاء الفصيحة واخلع فعل أمر وفاعل مستتر ونعليك مفعول به وجملة إنك تعليل للخلع وان واسمها وبالوادي خبرها والمقدس صفة وطوى بدل أو عطف بيان وقد تقدم القول في منعه من الصرف أو عدم منعه في باب اللغة • (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الواو عاطفة وأنا مبتدأ وجملة اخترتك من الفعل والفاعل والمفعول به خبر ، فاستمع الفاء عاطفة واستمع فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ولما متعلقان باستمع وجملة يوحى صلة ويوحى بالبناء للمجهول • (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) الجملة بدل من « ما » في لما يوحى وان واسمها وأنا تأكيد للضمير أو مبتدأ والله خبر إنني أو خبر أنا والجملة خبر إن وجملة لا إله إلا أنا خبر ثان فاعبدني الفاء الفصيحة واعبدني فعل أمر وفاعل مستتر والنون للوقاية والياء مفعول وأقم الصلاة عطف على اعبدني ولذكري متعلقان بأقم وهو مصدر مضاف لمفعول أي لتذكرني فيها وقيل المصدر مضاف للفاعل أي لذكري إياك • (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) إن واسمها وخبرها وأكاد فعل مضارع ناقص من أفعال المقاربة واسمها مستتر تقديره أنا وجملة أخفيها خبر أي أريد إخفاء وقتها أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ويجوز أن يراد أكاد أظهرها وفعل أخفى من الأضداد وسيرد له مزيد بحث في باب البلاغة ، ولتجزى اللام للتعليل وتجزى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وهو متعلق بأخفيها أو بآتية وجملة أكاد أخفيها اعتراضية بينهما وكل نفس نائب فاعل وبما متعلقان بتجزى وجملة تسعى صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي بجزاء سعيها على حذف مضاف • (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) الفاء الفصيحة ولا ناهية ويصدنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد

وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به وعنها متعلقان بيصدنك ومن فاعل وجملة لا يؤمن صلة وبها متعلقان بيؤمن واتبع هواه فعل وفاعل مستتر ومفعول به فتردى الفاء فاء السببية وتردى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء بفتحة مقدرة على الألف .

البلاغـة :

فن الابهام :

في قوله تعالى « لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وهو فن رفيع ينطوي على الكثير من جلائل المعاني ودقائقها وهو ضد الايجاز وضد الاطناب وحدّه أن يأتي المتكلم الى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير لا لقصد افهام البليد وسماع البعيد ولا للتقرير والتوكيد ، بل للاتيان بمعنى يتشعب إلى عدة أمور كل واحد منها مستقل المفهومية فقد قال لعلي آتيكم منها بقبس ولم يبت في الأمر لئلا يعد ما ليس بمستيقن من الوفاء به وما أجملها حكمة تكون درساً للذين يكيلون الوعود جزافاً ولا يفكرون في الوفاء بها ثم قال لعلي أجد على النار هدى وهذا يحتوي على معنى آخر ثم يتشعب فالهداية هي المعنى الرئيسي ثم ان الهداية قد تكون بالنار نفسها بخاصة الاضاءة الكامنة فيها وإما بواسطة القوم الذين يقومون بإيقادها ويفهم من هذا ضمنا أنه ضل مع أهله الذين يرافقونه وهم امرأته بنت شعيب وقد ولدت في الطريق ابناً في ليلة شاتية مظلمة باردة وقيل مثلجة فلما أسقط في يده آنس النار فقال ما قال ثم قد يقصد بالهداية معناها المجازي الآخر أي لعلي أهتدي بنور العلم لأن أفكار الأبرار مغمورة بالهمم فتبارك قائل هذا الكلام .

وفي قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » ابهام وهو فن عجيب يقول فيه المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متغايرين لا يتميز أحدهما عن الآخر فكلمة أخفيها أولاً تعني أموراً منها :

آ ـ أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي اخفاءها ولولا مافي الإخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به .

ب ـ أكاد أخفيها عن نفسي .

ثم انه جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه فهي من الأضداد أي أكاد أظهرها لقرب وقتها وبه فسر قول امرىء القيس :

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

أي إن تكتموا الضغائن التي بيننا نكتمها نحن أيضاً ولا نظهرها .

على أن أحسن محامل الآية الكريمة هو أن يكون المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها إذ الخفاء الغطاء وهو أيضاً ما تجعله المرأة فوق ثيابها يسترها ثم تقول العرب أخفيته إذا أزلت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته إذا أزلت شكايته وعتبه .

قال أبو علي القالي : « وقال اللحياني : خَفَيتُ الشيء أخفيه خَفْياً وخُفياً إذا استخرجته وأظهرته وأنشد لامرىء القيس :

خفاهُنّ من أنفاقهنّ كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

قال أبو علي : وغيره يروي : من عشي مُجَلّب أي مصوت ويقال : اختفيت الشيء أي أظهرته وأهل الحجاز يسمون النباش

المختفي لأنه يستخرج أكفان الموتى وأخفيت الشيء أخفيه إخفاء إذا سترته قال الله عز وجل : « أكاد أخفيها » وهي قراءة العامة أي أظهرها وقال أبو عبيدة : أخفيت الشيء كتمته وأظهرته ويقال دعوت الله خُفية وخِفية أي في خفض .

مجموعة من الاضداد في اللغة :

هذا ومن الاضداد الجلل للعظيم وللهين فمن الأول قول الشاعر :

ولئن عفوت لاعفون جلــلا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

ومن الثاني قول امرىء القيس لما قتل أبوه :

بقتــل بني أسد ربهــم ألا كل شيء سواه جلل

ومنها : غابر للذاهب والآتي ، والجون للأبيض والأسود والبين للبعد والقرب ، والصريم : الليل والنهار ، والناصع الابيض والاسود ، والامم للعظيم واليسير ، والناهل للريان والظمآن ، ووراء بمعنى قدام وخلف، وبعت الشيء اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته، وشعبت الشيء: أصلحته وشققته ، والصارخ للمستغيث والمغيث ، والهاجد للمصلي بالليل والنائم ، والوهدة : الارتفاع والانحـدار ، والتعزير للاكرام والاهانة ، والتقريظ للمدح والذم ، وترب للغني والفقير ، والاهماد للسرعة في السير والاقامة ، وعسعس : إذا أقبـل وإذا أدبر ، والقرء للحيض والطهر .

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ

﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

اللغـــة :

(أهش) : في المصباح : هشّ الرجل هشاً من باب رد : صال بعصاه وفي التنزيل « وأهش بها على غنمي » وهش الشجرة هشاً ضربها ليتساقط ورقها وهش الشيء يهش من باب تعب هشاشة لان واسترخى فهو هش وهش العـود يهشّ أيضاً هشوشاً صار هشاً سريع الكسر وهش الرجل هشاشة إذا ابتسم من بابي تعب وضرب .

(جناحك) : سيأتي تفسيرها في باب البلاغة .

الاعراب :

(وما تلك بيمينك ياموسى) الواو عاطفـة وما اسم استفهـام للتقرير مبتدأ وتلك خبره وبيمينك متعلق بمحذوف حال وهي تشبه قوله تعالى « وهذا بعلي شيخاً » والعامل في الحال المقدرة اسم الاشارة ويا موسى نداء فما اسم نكرة في موضع رفـع بالابتداء والتقدير أي شيء تلك بيمينك وهي مبنية لتضمنها همزة الاستفهام وإنما جيء بها لضرب من الاختصار وذلك أنك إذا قلت ما بيدك فكأنك قلت : أعصا بيدك أم سيف أم خنجر ونحو ذلك مما يكون بيده وليس عليه إجابتك

عما بيده إذا لم تأت على المقصود فجاءوا بما وهو اسم واقع على جميع مالا يعقل مبهم فيه وضمنوه همزة الاستفهام فاقتضى الجواب من أول وهلة فكان فيه من الإيجاز ما ترى • (قال : هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي) هي مبتدأ وعصاي خبره وجملة أتوكأ عليها حالية وقيل مستأنفة وأهش بها على غنمي عطف على أتوكأ عليها وبها متعلقان بأهش وكذلك على غنمي وتعدية أهش بعلى يفيد معنى التهويل والتخويف للغنم • (ولي فيها مآرب أخرى) هذا هو الجواب الرابع الذي أجاب به موسى عن سؤال واحد وسيأتي سر ذلك في باب البلاغة ولي خبر مقدم وفيها حال ومآرب جمع مأربة بتثليث الراء مبتدأ مؤخر وأخرى صفة لمآرب ، وهذه المآرب الأخرى سيرد قسم كبير منها في باب البلاغة كما يرد تلخيص مفيد لكتاب العصا للجاحظ • (قال : ألقها يا موسى) جملة ألقها مقول القول ويا موسى نداء • (فألقاها فإذا هي حية تسعى) ألقاها فعل وفاعل ومفعول به والفاء عاطفة وإذا للمفاجأة وهل هي ظرف أم حرف ؟ تقدم بحث ذلك مفصلاً ، وهي مبتدأ وحية خبر وجملة تسعى حال أو خبر ثان وقد تقدم ذكر المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي • (قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) جملة خذها مقول القول والواو حرف عطف ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والسين حرف استقبال ونعيدها فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره نحن وسيرتها منصوب بنزع الخافض أي الى سيرتها وهذا أسهل الاعاريب وقيل هي ظرف قالوا « السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الأولين فنصبت على الظرف أي سنعيدها في طريقتها الأولى » وأجاز آخرون كأبي البقاء وبه بدأ أن تكون بدل اشتمال من ضمير المفعول لأن معنى سيرتها صفتها وطريقتها

وأتى الزمخشري بإعراب آخر مهد له وحسنه قال « ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلاً بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى أنها أنشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حيــة فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولاً ونصب سيرتها بفعــل مضمر أي تسير سيرتها الأولى » والأولى صفة لسيرتها على كل حال • (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) واضمم عطف على ألقها ويدك مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنت والى جناحك جار ومجرور متعلقان باضمم وتخرج جزم لأنه جواب الطلب وبيضاء حال ومن غير سوء متعلقان ببيضاء لما فيها من معنى الفعل نحو ابيضت من غير سوء وليكون الاحتراس كاملاً كما سيأتي في باب البلاغة أو متعلقان بتخرج وآيــة حال ثانية من فاعــل تخرج أيضاً وأخرى صفة لآيــة واختار الزمخشري وجهاً آخر لنصب آيــة وهو « باضمار نحو خذ أو دونك وما أشبه ذلك » ولا نرى داعياً لذلك • (لنريك من آياتنا الكبرى) اللام للتعليل ونريك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وهو تعليل لمحذوف متعلق به أ ي أمرناك بما ذكرنا لنريك بها أي بيدك ومن اياتنا متعلقان بمحذوف على أنه حال من الكبرى وتكون الكبرى على هذا مفعولاً ثانياً لنريك أو صفة للمفعول الثاني على الأصح والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا أي حال كونها من آياتنا وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى فلا داعي لذكره •

البلاغــة :

قد تستوعب هذه الآية أجلاداً ضخمة لما انطوت عليه من ضروب البلاغــة وذلك ما نهــدف اليه من كتابنا ، ولكننا سنجتزىء بقــدر الامكان فنقول :

١ ـ فن التلفيف :

في قوله تعالى « وما تلك بيمينك يا موسى » الى آخر ما أجاب به موسى صلوات الله عليه من الاجوبة الاربعة فن طريف لم يرد ذكره حتى الآن وهو فن التلفيف ، وحدّه اخراج الكلم مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره وانما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه . وهذا التعريف المطول نعتقد أنه يحتاج الى بيان وهو أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة الى بيانها كلها أو أكثرها فيعدل المسئول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبيين ذلك النوع ويجيب بجواب عام يتضمن الابانة على الحكم المسئول عنه وعن غيره بدعاء الحاجة الى بيانه نقول موسى جواباً عن سؤال الله تعالى له « هي عصاي » هو الجواب الحقيقي للسؤال ثم قال : « أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » فأجاب عن سؤال مقدر كأنه توهم أن يقال له : وما تفعل بها ؟ فقال معدداً منافعها ولم يقع ذلك من موسى عليه السلام إلا لأمور ثلاثة :

آ ـ بغية الشكر لله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب مالا يوجد في مثلها .

ب ـ ان المقام مقام خطاب الحبيب وهو يقتضي البسط والاسهاب.

حـ ـ تعظيم مساءلة ربه له عن منافعها فابتداه بالجواب عن السؤال المقدر قبل وقوعه أدباً مع ربه .

والواقع أن السؤال إذا كان وارداً على شيء ظاهر فذلك السؤال إنما يتوجه الى أمر يتعلق به بحسب مقتضى الحال وإلا كان عبثاً لظهوره

كما إذا سألت شخصاً عن لبس ثياب السفر بقولك : ما هذا الثوب ؟ فإنك لا تسأل عن نفس الثوب وما هيته بل إنما سألت عن سبب لبسه فكأنك قلت : ما سبب عزيستك ؟ فجواب اللابس حينئذ أن يقول : أريد سفر كذا ولو أجاب بأنه كتان مثلاً عدّ لاغياً فكذلك هاهنا لما كان السؤال عن أمر ظاهر فيكون متوجهاً الى ما يتعلق بالعصا من منافعها فكأنه قال : ما تفعل بما في يمينك يا موسى ؟ فلذلك قال : هي عصاي أتوكأ عليها ... الآية فإن قلت : لو كان قوله تعالى : وما تلك بيمينك سؤالاً عما لا يتعلق بالعصا فكان حقّ الجواب أن يقول : أريد أن أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولكان قوله : هي عصاي ضائعاً غير مطابق للسؤال كما في السؤال عن لبس السفر .

قلت : هذا السؤال وإن كان عما يتعلق بالعصا لكنه تعالى لما علم أنه سيرد عليها الصورة الثعبانية عند سحر السحرة وكان ذلك مقام أن يخاف موسى بمشاهدة الصورة المنكرة التي ليس يعهدها فأراد تثبيت ماهيتها وعوارضها في نفسه لئلا يدهش عند ورودها عليه فلذلك قال : ما تلك ليجيب عن ماهيتها أيضاً كما يجيب عن منافعها لزيادة التثبيت فحاصل معنى الجواب حينئذ هي عصاي أعرفها بالذات والعوارض وإن صورتها مقررة في نفسي لا تنفع إلا منافع أمثالها فإني قديماً أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى .

واختار « تلك » مع قرب المشار اليه إما لتحقيره بالنسبة الى جناب كبريائه أو للتعظيم لاشتمالها على الأمور العجيبة والمنافع الكثيرة .

٢ ـ التقرير :

وفيها أيضاً التقرير وهو بالاستفهام فإنه سبحانه عالم بيمينه وإنما أراد أن يقر موسى ويعترف بكونها عصا ويزداد علمه بما يمنحه الله

في عصاه فـلا يعتريه شك إذا قلبها الله ثعباناً بل يعرف أن ذلك كائن بقدرة الله وانه هين عليه يسير .

عصا موسى وما فيها من أقوال :

هذا وقد صنف الجاحظ كتاباً سماه كتاب العصا وهو جزيل الفائدة ونورد فيما يلي أضاميم منه ، فقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدة من المرسلين قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر في عصاه : « إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما » الى قوله « و لايفلح الساحر حيث أتى » فلذلك قال الحسن بن هانىء ـ أبو نواس ـ في شأن خصيب وأهل مصر حين اضطربوا عليه :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي
ألا فخذوا من ناصح بنصيب

ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا
على حد حامي الظهر غير ركوب

فإن يك باق إفك فرعون فيكم
فإن عصا موسى بكف خصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية
أكول لحيات البلاد شروب

ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ولا عارضهم موسى إلا بعصاه ، ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعصي والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان ما جعل للعصا ؟ وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

ثم تحدث الجاحظ بأسلوبه العذب السمح عن الشجر ومنافعها مما تأتي الاشارة إليه في حينه ،وأورد قصصاً مأثورة عن الانتفاع بالعصا ، وما كان لها عند العرب من شأن فأورد قصة عامر بن الظرب العدواني ــ حكم العرب في الجاهلية ــ لما أسنّ واعتراه النسيان أمر بنته « عمرة » أن تقرع بالعصا إذا هو فهّ عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيمات بنات العرب ، حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحْر بنت لقمان ، وهند بنت الخس وخمعة بنت حابس وكان يقال لعامر ذو الحلم ولذلك قال الحارث بن وعلة :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم

وقال الفرزدق :

فإن كنتُ أنساني حلومُ مجاشع
فإن العصا كانت لذي الحلم تقرع

قلت :

قلت : هذا ما رواه الجاحظ بصدد قرع العصا ، وليس هذا القول حاسماً ففي أول من قرعت له العصا خلاف طويل فقيل هو عامر

ابن الظرب كما ذكر الجاحظ وقيل هو قيس بن خالد ذو الجدين وقيل هو عمرو بن حممة الدوسي ولكن الاشهر ما رواه الجاحظ .

وذكر العصا عندهم يجري في معان كثيرة تقول العرب : « العصا من العصية ، والأفعى بنت حية » تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير ، ويقال : طارت عصا فلان شققاً ويقال : فلان شق عصا المسلمين ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه اسم الشق وقال المضرّس الأسدي :

وألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

ويقال لبني أسد « عبيد العصا » يعنى أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء وتسمي العرب كل صغير الرأس « العصا » وكان عمرو بن هبيرة صغير الرأس قال سويد بن كراع العكلي :

فمن مبلغ رأس العصا أن بيننا

ضغائن لا تنسى وإن قدم الدهر

وكان والبة بن الحباب الأسدي أحد من أخذ عنهم أبو نواس وكان شاعراً ماجناً صغير الرأس فقال أبو العتاهية في رأس والبة ورؤوس قومه :

رؤوس عصي كنّ من عود أثلة

لها قادح يفري وآخر مخرب

قلت :

قلت : هذا وكان والبة قد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فغلباه وفر الى الكوفة منهما ومما قاله في أبي العتاهية :

كان فينـا يكـنى أبا اسحق وبها الركب سار في الآفـاق
فتكـــنى معتـهاً بعتـــاه يا لها كنيـــة أتت باتفـاق
حلق اللـــه لحية لك لا تنـــفك معقودة بداء الحـــلاق

ودخل عمرو بن سعد بن أبي وقاص على عمر بن الخطاب حـين رجع اليه من عمل حمص وليس معه إلا جراب وإداوة وقصعة وعصا فقال له عمر : ما الذي أرى بك من سوء الحال ، أم ما تصنع ؟ فقال : وما الذي تراني ؟ ألست تراني صحيح البدن ، معي الدنيا بحذافيرها ؟ قـال : وما معك من الدنيا ؟ قال معي جرابي أحمل فيه زادي ، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعي إداوتي أحمـل فيها مائي لشرابي ، ومعي عصاي إن لقيت عدواً قاتلته ، وإن لقيت حية قتلتها ، وما بقي من الدنيا تبع لما معي .

ومن جميل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق تفسير شعر غنيه الاعرابية في شأن ابنها وذلك انها كان لها ابن" شديد العرامة كثير التلفت الى الناس مع ضعف أسر ، ودقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه وأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت الدية فزادت دية أذنه في المال وحسن الحال ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته فلما رأت

ما قد صار عندها من الابـل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

أحلف بالمـرو ة حقاً والصفا   أنك خـير من تفاريق العصا

فقيـل لابن الأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قـال : العصا تُقطـع ساجوراً وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شِظاظاً فإن كان رأس الشظاظ كالعلكة صار للنجتي مهاراً وهو العود الذي يدخل في أنف النجتي (والنجتي الجمل الخراساني) وإذا فرق المهـار جاءت منه تواد والسواجـير تكون للكـلاب والأسرى من الناس •

وسئل عن قوله « ولي فيها مآرب أخرى » قال : لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام ولكني سأنبئكم جملاً تدخل في باب الحاجة الى العصا من ذلك : انها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول وكـذلك فحول الجحور في المروج ويتوكأ عليها الكبير الدانف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج فإنها تقوم مقام رجل أخرى ، وقال أعرابي مقطوع الرجل :

ألـلـه يعلم أني من رجالهم   وإن تخـدّد عن متنيَّ أطماري

وإن رزئت يداً كانت تجمّلني   وإن مشيت على زج ومسمار

والعصا تنوب للأعمى عن قائده وهي للقصار والفاشكار والدباغ ومنها المفأد للسلّة (أي الخشبة يحرك بها الرماد الحـار) والمحراك للتنور وهي لدق الجص والجبسين والسمسم ولخبط الشجر وللفيج (ساعي البريد والدولة) وللمكاري فانهما يتخذان المخاصر فاذا طال

الشوط وبعدت الغاية استعانا في حضرهما وهرولتهما في أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الارض وهي تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم (المصاب بمرض البرسام) ويتخذها الراعي لغنمه ، وكل راكب لمركبه ، ويدخل عصاه في عروة المزود ويمسك بيده الطرف الآخر وربما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل ، وتكون ـ إن شئت ـ وتدأ في حائط وإن شئت ركزتها في الفضاء وجعلتها قبلة وإن شئت جعلتها مظلة وإن جعلت فيها زُجاً كانت عنزة وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطرداً وإن زدت فيها شيئاً كانت رمحاً ، والعصا تكون سوطاً وسلاحاً.

ونجتزىء بما تقدم من كتاب الجاحظ ونعود الى مآرب موسى فقد ذكر في الكشاف « وقيل في المآرب كانت ذا شعبتين ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا طلب كسره لواه بالشعبتين وإذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل ، وإذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه » .

٣ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله « واضمم يدك الى جناحك » الجناح معروف وقيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر، وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما عند الطيران أي يميلهما والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج .

٤ ـ الاحتراس والكناية :

وفي قوله « تخرج بيضاء من غير سوء » فن الاحتراس وقد تقدم ذكره والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة وكان جـذيمة بن الوضاح أبرص فكنوا عنـه بالأبرش لأن البرص أبغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة فكان جديراً أن يكنى عنه ولا أحسن ولا ألطف من كنايات القرآن كما يأتي ولو أنه لم يذكر من غير سوء لتوهم أن البياض قد ازداد حتى صار برصاً فأتى بقوله من غير سوء دفعاً لذلك التوهم •

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

اللغـــة :

(وزيراً) : مشتق من الوزر لأنه يتحمـل عن الملك أوزاره أي أثقالـه فهو معين على أمر الملك وقائم بأمره وقيـل بل هو مشتق من الوزر بفتحتين وهو الملجأ ومنه قوله تعالى : « كلا لا وزر » وقيل بل

هو مشتق من المؤازرة وهي المعاونة وفي القاموس الأزر الاحاطة والقوة والضعف فهو من الأضداد ، والتقوية والظهر .

الاعراب :

(إذهب الى فرعون انه طغى) إذهب فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والى فرعون متعلقان باذهب وان واسمها وجملة طغى خبرها وجملة إنه طغى تعليلية لا محل لها . (قال رب اشرح لي صدري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة واشرح فعل دعاء ولي متعلقان باشرح وصدري مفعول به وذكر كلمة لي لفائدة سترد في باب البلاغة . (ويسر لي أمري) عطف على اشرح لي صدري . (واحلل عقدة من لساني) عطف على اشرح وعقدة مفعول به ومن لساني متعلقان بمحذوف صفة لعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني وسيأتي ما قيل في العقدة في باب البلاغة . (يفقهوا قولي) يفقهوا فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والواو فاعل وقولي مفعول به . (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي) الواو عاطفة واجعل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولي في محل نصب مفعول ثان ووزيراً مفعول به أول ومن أهلي صفة لوزيراً وهارون بدل من وزيراً وأخي بدل من هارون ويجوز أن يكون وزيراً مفعولاً ثانياً وهارون مفعولاً أول وقدم الثاني عليه اعتناء بأمر الوزارة ولي متعلقان بمحذوف حال أو بنفس الجعل ومن أهلي صفة ويجوز أن يكون وزيراً هو المفعول الاول ومن أهلي هو الثاني وجميع هذه الأوجه متساوية الرجحان . (اشدد به أزري وأشركه في أمري) اشدد فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبه متعلقان باشدد وأزري مفعول به وأشركه عطف على اشدد والهاء مفعول به وفي أمري

متعلقان باشركه وقرىء اشدد وأشركه مضارعين مجزومين بالطلب •
(كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) كي حرف مصدرية ونصب
واستقبال وسيأتي بحثها في باب الفوائد ونسبحك فعل مضارع منصوب
بكي وفاعل نسبحك ضمير مستتر تقديره نحن وكثيراً صفة لمصدر
محذوف أو صفة لظرف محذوف فهي مفعول مطلق أو مفعول فيه
ونذكرك كثيراً عطف على نسبحك كثيراً • (إنك كنت بنا بصيراً) إن
واسمها وجملة كنت خبر والتاء اسم كنت وبنا متعلقان ببصيراً وبصيراً
خبر كنت •

البلاغـة :

١ ــ الزيادة :

زيادة « لي » في قوله تعالى « واشرح لي صدري ويسر
لي أمري » والكلام تام بدونها وقد ذكر الزمخشري سراً ونذكر الثاني
فيما بعد قال : « فإن قلت « لي » من قوله اشرح لي صدري ويسر
لي أمري ما جدواه والكلام مستتب بدونه ، قلت : قد أبهم الكلام
أولاً فقيل اشرح لي ويسر لي فعلم أن ثم مشروحاً وميسراً ثم بين ورفع
الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره »
أما السر الثاني فهو أن تكون فائدتها الاعتراف بأن منفعة شرح الصدر
وتيسير الأمر راجعة إليه وعائدة عليه فإن الله عز وجل لاينتفع بارساله
ولا يستعين بشرح صدره تعالى وتقدس •

٢ ــ التنكير :

وفي تنكير العقدة من قوله تعالى « واحلل عقدة من لساني » دلالة

على أنه لم يسأله حل جميع عقد لسانه بل حل بعضها الذي يمنع الافهام بدليل قوله « يفقهوا قولي » كأنه قال واحلـل عقدة من عقد لساني وهذه العقدة ناشئة كما يروى عن جمرة وضعها في فمه وهو صغـير وقصتها في المطولات .

الفوائـد :

بحث كي :

(كي) أحد أحرف النصب وهي قسمان :

١ ــ المصدرية وهي الداخل عليها اللام لفظاً نحو لكي لا تأسوا أو تقديراً نحو جئتك كي تكرمني اذا قدرت الاصل لكي وانك حذفت اللام استغناء عنها بنيتها فإن لم تقدر اللام فهي :

٢ ــ التعليلية ، فأما المصدرية فناصبة بنفسها وأما التعليلية فجارة والناصب بعدها أن مضمرة لزوماً في النثر وقد تظهر في الشعر :

فقالت أكـل الناس أصبحت مانحـاً

لسانك كيمـا ان تغـرّ وتخـدعا

وهذا مذهب سيبويه والخليل وجمهور البصريين أما الكوفيون فيرون أن كي ناصبة دائماً تقدمتها اللام أو لم تتقدمها .

قال أبو حيان : وأجمعوا على أنها يجوز الفصل بينها وبين معمولها بلا النافية وما الزائدة وأما الفصل بغير ما ذكر فلا يجوز عند البصريين .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(السؤل): الطلبة وهو فُعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز والأكل بمعنى المأكول .

(التابوت) : الصندوق من خشب .

(اليم) : البحر وأراد به نهر النيل .

الاعراب :

(قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) جملة قد أوتيت مقول القول وأوتيت فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وسؤلك مفعول

به ثان لأوتيت • (ولقد مننا عليك مرة أخرى) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ومننا فعل وفاعل وعليك متعلقان بمننا ومرة ظرف أو مفعول مطلق وأخرى صفة لمرة • (إذ أوحينا الى أمك ما يوحى) إذ ظرف يفيد هنا التعليل وهو متعلق بمننا وجملة أوحينا مضافة إليها الظرف والى أمك متعلقان بأوحينا وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر هو مفعول مطلق أو موصولة فهي نائب فاعل وجملة يوحى صلة وهي تفيد الابهام وسترد في باب البلاغة • (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) أن مفسرة لأن الوحي بمعنى القول واقذفيه فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي التابوت متعلقان باقذفيه ، فاقذفيه في اليم عطف على فاقذفيه في التابوت ولم تختلف الضمائر لأن المقذوف هو موسى عليه السلام • (فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) الفاء عاطفة واللام لام الأمر ويلقه فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به واليم فاعل وهذا أمر معناه الخبر ولكونه أمراً لفظاً جزم جوابه في قوله يأخذه وسيأتي مزيد بيان له في باب البلاغة وبالساحل متعلقان بيلقه أو بمحذوف حال أي ملتبساً به ويأخذه جواب الطلب والهاء مفعول وعدو فاعل ولي صفة وعدو له عطف على عدو لي • (وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني) الواو حرف عطف وألقيت فعل وفاعل وعليك متعلقان بألقيت ومحبة مفعول به ومني صفة لمحبة أي محبة عظيمة كائنة مني فلا جرم أحبك كل من رآك ويجوز تعليق مني بألقيت ولتصنع عطف على علة مضمرة مفهومة من سياق الكلام أي لتحب من الناس ، ولتصنع : اللام للتعليل وتصنع فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلى عيني حال أي لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك وكالئك وسيأتي بحث المجاز المرسل هنا في

باب البلاغة • (إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله ؟)
إذ ظرف للتعليل متعلق بألقيت أو بتصنع أو بمحذوف تقديره اذكر وجملة تمشي مضاف اليها الظرف وأختك فاعل فتقول عطف على تمشي وهل حرف استفهام وأدلكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى من متعلقان بأدلكم وجملة يكفله صلة •
(فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن) الفاء عاطفة على محذوف للايجاز تقديره فأجيبت الى طلبها فجاءت أمه فقبل موسى ثديها .
ورجعناك فعل وفاعل ومفعول به والى أمك متعلقان برجعناك وكي حرف ناصب وتقر منصوب بكي وعينها فاعل ولا تحزن عطف على كي تقر •
(وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) وقتلت فعل وفاعل ونفساً مفعول قتل وقد قتل موسى القبطي بمصر واسمه قاب قان وكان طباخاً لفرعون وكانت سن موسى إذ ذاك ثلاثين سنة ؛ فنجيناك الفاء عاطفة ونجيناك فعل وفاعل ومفعول به ومن الغم متعلقان بنجيناك وفتناك فعل وفاعل ومفعول به وفتوناً مفعول مطلق إذا كان مصدراً وهو الأرجح كالقعود والجلوس والشكور والثبور واللزوم أو منصوب بنزع الخافض إذا كان جمع فتنة أي بضروب من الفتن والمعنى ابتليناك وامتحناك بأنواع من الشدائد • (فلبثت سنين في أهل مَدين ثم جئت على قدر يا موسى) الفاء عاطفة ولبثت فعل وفاعل وسنين ظرف زمان متعلق بلبثت قيل مكث عند النبي شعيب في مدين عشر سنوات وتزوج خلالها ابنته وقيل ثمانياً وعشرين سنة منها مهر ابنته وهو عشر حجج حيث قضى أوفى الأجلين ، وفي أهل مدين متعلقان بلبثت ومدين مضاف لأهل ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ثم حرف عطف وجئت فعل وفاعل وعلى قدر حال أي موافقاً لما قدر لك أو مستقراً على قدر معين

ويا موسى نداء ، وقد اقتبس هذا التركيب جرير بقوله مادحاً عمر ابن عبد العزيز :

أتى الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر

البلاغة :

فنون هذه الآيات البيانية كثيرة جداً نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ التفسير بعد الابهام :

فأولها التفسير بعد الابهام وهذا النوع يؤتى به لتفخيم أمر المبهم وإعظامه لأنه يطرق السمع بعد أن كان متعلقاً بشيء مبهم فتترنح الجوارح ، ويذهب بلب السامع كل مذهب وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى « قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ، ولقد مننا عليك مرة أخرى » فابهم الكلام وأتى به مجملاً ليتعلق الذهن ، ويتطلع ما عسى أن يكون السؤل ؟ وما هي المنة الأخرى ؟ وما عسى أن يردفها من منن وآلاء ؟ انه يتشوف للمعرفة ، ويحاول اكتناه الحقيقة فيأتي قوله بعد ذلك مفسراً ما أبهم ، فيقول « إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم » فإن قلت ما هي المنة الأولى ؟ وما هي المنة الثانية ؟ وهل بعد ذلك من منن ؟ قلت ان مجموع المنن التي امتن الله بها على نبيه موسى ثماني منن :

آ ـ قوله إذ أوحينا إلى قوله « وعدو له » .

ب ـ قوله : « وألقيت عليك محبة مني » الخ ..

ج ـ قوله : « ولتصنع على عيني » الى قوله « من يكفله » .

د ــ قوله : « فرجعناك الى أمك » الى قوله « ولا تحزن » •

هـ ــ قوله : « وقتلت نفساً فنجيناك من الغم » •

و ــ قوله : « وفتناك فتوناً » •

ز ــ قوله : « فلبثت في أهل مدين » الى قوله « يا موسى » •

ح ــ قوله : « واصنعتك لنفسي » •

٢ ــ الابهام :

أما الابهام المجرد فقوله « ما يوحى » وهو كثير شائع في القرآن الكريم ومثله في الشعر قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه

فلما علاه قال للباطل : ابعد

وسيرد منه المزيد المطرب •

٣ ــ المجاز العقلي :

المجاز العقلي : في قوله تعالى « فليلقه اليم بالساحل » أسند الإلقاء الى اليم وهو لا يعقل ولكنه يمثل مشيئة الله وإرادته التي لا تخطىء ولا يعزب عنها شيء ، أسند اليه الإفضاء المقرر في عالم الغيب ودنيا المشيئة كأنه ذو تمييز يطيع الأمر ويمتثل رسمه •

٤ ــ التنكير :

نكر المحبة وأسندها اليه سبحانه ، لأمرين هامين :

١ ـ مافي التنكير من الفخامة الذاتية كأنها محبة تعلو على الحب المتعارف المتبادل بين المخلوقات .

٢ ـ مافي اسنادها اليه من الفخامة الاضافية أي محبة عظيمة مني وقد زرعتها في القلوب وركزتها في السرائر ومنطويات الضمائر فسبحان المتكلم بهذا الكلام .

٥ ـ المجاز المرسل :

في قوله على عيني مجاز مرسل فقد أراد بالعين المحبة أي على المحبة مني لأن العين رائدها وسببها فالعلاقة السببية قال أبو عبيدة وابن الأنباري : إن المعنى لتغذى على محبتي وإرادتي تقول أتخذ الأشياء على عيني أي على محبتي ، قال ابن الأنباري : العين في هذه الآية يقصد بها قصد الارادة والاختيار ، من قول العرب : فلان على عيني أي على المحبة مني قيل واللام متعلقة بمحذوف أي فعلت ذلك لتصنع وقيل متعلقة بألقيت .

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾

اللغـــة :

(واصطنعتك) : اخترتك لي من بـين الناس جميعـاً ، وسيأتي المزيد من بحث المجاز في هذا التعبير الرشيق .

(تنيا) : تفترا والونى الفتور والتقصير يقال ونى يني ونياً كوعد يعد وعداً إذا فتر والاسم الونى وهو الفتور وونى فعل لازم لا يتعدى وزعم بعض النحـاة انه يكون من أخوات زال وانفك فيعمل عملهما بشرط النفي يقال : ما وني زيد قائماً أي ما زال زيد قائماً وفي المصباح : وني في الأمر ونياً من باب تعب ووعد ضعف وفتر فهو وان وفي التنزيل « ولا تنيا في ذكري » وتوانى في الأمر توانياً : لم يبادر الى ضبطه ولم يهتم به فهو متوان أي غير مهتم ولا محتفل » وهو في الآية من باب وعد لأجل كسر النون إذ لو كان من باب تعب لكان بفتحها وقد أشار في الأساس إلى امكان عمل هذا الفعل عمل لا يزال قال : « ولا يني يفعل : لا يزال يفعـل وامرأة وَنَاة : فيهـا فتور » وفي القاموس : « الونى كفتى التعب والفترة ضد ويمد وَنَى يني ونْياً وونُيا وونِاء وونِية ونِيَة ووَنىً وأوناه وتوانى هو وناقـة وانية : فاترة طليح وامرأة وَناة" وأناة" وأنية : حليمة بطيئة القيام والقعود والمشي والمينا مرفـأ السفينة ويمد وجوهر الزجاج والونيـة كاللؤلؤة كالوَناة أو العقد من الدر » .

(يفرط) : يقال فرط يفرط من باب قعد علينا فلان إذا عجـل بمكروه .

الاعراب :

(واصطنعتك لنفسي) فعل ماض وفاعل ومفعول به ولنفسي متعلقان به • (إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري) إذهب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأنت ضمير منفصل تأكيد للضمير المستتر والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير المراد بالاصطناع وأخوك عطف على الضمير المرفوع وعلامة رفعه الواو والكاف مضاف اليه وبآياتي حال لأن الباء للمصاحبة أي مصحوبين بآياتي ومعتصمين بها وليست للتعدية لأن المراد إظهار الآيات للناس لا مجرد الذهاب الى فرعون والواو حرف عطف ولا ناهية وتنيا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والألف فاعل وفي ذكري متعلقان بتنيا ، قيل « في » هنا بمعنى عن أي عن عبادتي ولم أره لأحد فالأولى أن تبقى على حقيقتها من الظرفية كأنه اشتمل على التقصير ، لكن قال في المغني « والظاهر أن معنى ونى عن كذا جاوزه ولم يدخل فيه وونى فيه دخل فيه وفتر » وهذا يرجح انها للظرفية لا للمجاوزة • (إذهبا الى فرعون إنه طغى) إذهبا فعل وفاعل والى فرعون متعلقان بإذهبا وان واسمها وجملة طغى خبرها • (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى) الفاء عاطفة وقولا فعل أمر وفاعل وله متعلقان بقولا وقولاً مفعول مطلق وليناً صفة ولعل واسمها وجملة يتذكر خبرها أو حرف عطف ويخشى عطف على يتذكر وسيأتي معنى الترجي هنا وبصورة عامة في باب الفوائد • (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) قالا فعل ماض وفاعل وربنا منادى مضاف وإن واسمها وجملة نخاف خبرها وأن وما في حيزها مفعول نخاف وعلينا متعلقان بيفرط أو حرف عطف أن يطغى عطف على أن يفرط • (قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى) لا ناهية وتخافا فعل مضارع

مجزوم بلا والألف فاعل وجملة لا تخافا مقول القول وجملة إنني معكما تعليلية لعدم الخوف وان واسمها والظرف متعلق بمحذوف خبرها وجملة أسمع خبر ثان أو حالية وأرى عطف على أسمع . (فأْتياه فقولا إنا رسولا ربك) فأتياه الفاء هي الفصيحة وأتياه فعل أمر وفاعل ومفعول به فقولا عطف على فأتياه وإن واسمها ورسولا خبرها وربك مضاف اليه . (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم) الفاء هي الفصيحة أيضاً وأرسل فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسل وبني اسرائيل مفعول به ولا تعذبهم لا ناهية وتعذبهم مجزوم بلا والهاء مفعول به . (قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) جمنة قد جئناك حالية جرت من جملة إنا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لأن دعوى الرسالة لا تثبت إلا مدعومة بالآيات والدلائل الظاهرة الدالة عليها وقد حرف تحقيق وجئناك فعل ماض وفاعل ومفعول به وبآية متعلقان بجئناك ومن ربك صفة لآية والواو استئنافية والسلام مبتدأ وعلى من اتبع الهدى خبر .

الفوائد :

اهتم العلماء اللغويون والنحاة بمعنى الرجاء في قوله تعالى « لعله يتذكر أو يخشى » وسنلخص الأوجه التي ذكرها هؤلاء لأن إيرادها بنصوصها لا يتسع له المجال ، فالرجاء يحتمل الأمور التالية :

١ ــ أن يكون الترجي هنا على بابه وذلك بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهارون أي اذهبا على رجائكما في إيمانه وباشرا الأمر مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله فهو يفرغ جهده ويبذل مافي وسعه ويستحيل أن يرد ذلك في حق الله تعالى

إذ هو عالم بالعواقب والمغاب وعن سيبويه « كل ما وردَ في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب » وهذا صريح في أن الترجي يستحيل بقاؤه على معناه في حق الله تعالى •

٢ ـ ان لعل تفيد التعليل فهي بمثابة كي وهذا قول الفراء قال : كما تقول : اعمل لعلك تأخذ أجرك أي كي تأخذ أجرك •

٣ ـ انها استفهامية أي هل يتذكر ويخشى وهذا قول مردود لأنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى •

ما يقوله النحاة :

ويقول النحاة إن لعل للتوقع وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب نحو لعل الحبيب قادم ومنه قوله تعالى : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » والاشفاق في الشيء المكروه نحو « فلعلك باخع نفسك » أي قاتل نفسك والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك وقد تقدم بحثه والاشفاق لغة الخوف يقال أشفقت عليه بمعنى خفت عليه وأشفقت منه بمعنى خفت منه وحذرته •

وقال الأخفش والكسائي : وتأتي لعل للتعليل نحو : ما يقول الرجل لصاحبه : افرغ من عملك لعلنا نتغدى واعمل عملك لعلك تأخذ أجرك أي لنتغدى ولتأخذ ، ومنه « لعله يتذكر » أي ليتذكر وقال في المغني : ومن لم يثبت ذلك يحمله على الرجاء ويصرفه للمخاطبين أي اذهبا على رجائكما •

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

الاعراب :

(إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) إن واسمها وجملة قد أوحي خبر والينا متعلقان بأوحي وأن وما في حيزها في تأويل مصدر نائب فاعل لأوحى وأن واسمها وعلى من خبرها وجملة كذب صلة وتولى عطف على كذب • (قال فمن ربكما يا موسى) أي فأتياه وقالا جميع ما ذكر ، فالفاء عاطفة على مقدر ومن اسم استفهام مبتدأ وربكما خبر والجملة مقول القول ولم يذكر هارون لأنه تبع ورده ووزير له وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته • (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه

ثم هدى) ربنا مبتدأ والذي خبره وجملة أعطى صلة وكل شيء مفعول به أول وخلقه مفعول به ثان وقيل خلقه أول مفعولي أعطى وكل شيء ثانيهما وقدم للاهتمام أي أعطى خليقته « وهي جمع الخلائق » كل شيء يحتاجون اليه وقرىء خلقه على أنه فعل والمفعول الثاني محذوف للعلم • ثم هدى عطف على أعطى أي أعطى كل شيء صورته وأفرغه في مسلاخه الخليق بما نيط به من خصائص ومنافع وهدى كل مخلوق إلى ما خلق له ، وفي هذا الايجاز كلام طويل يطالعه القارىء في باب البلاغة • (قال فما بال القرون الأولى) الفاء عاطفة وما استفهام مبتدأ وبال خبر والقرون مضاف اليه والأولى صفة • (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) علمها مبتدأ وعند ربي الظرف متعلق بمحذوف خبر وفي كتاب حال أو في كتاب هو الخبر وعند ربي حال أو هما خبران أو هما خبر واحد على حد قولك الرمان حلو حامض أي مز وجملة لا يضل مستأنفة وقيل صفة لكتاب والعائد محذوف تقديره في كتاب لا يضله ربي أو لا يضل حفظه ربي ، وربي فاعل يضل ولا ينسى عطف على لا يضل وسيأتي في باب الفوائد ما قاله العلماء في معنى هذه الآية • (الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً) الذي خبر لمبتدأ محذوف أي هو وجملة جعل صلة ولكم حال لأنه كان صفة لمهاداً والأرض مفعول به أول ومهاداً مفعول به ثان وسلك فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبلاً وفيها متعلقان بسلك وسبلاً مفعول به • (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى) وأنزل عطف على ما تقدم ومن السماء متعلقان بأنزل وماء مفعول به فأخرجنا الفاء عاطفة وأخرجنا فعل وفاعل وبه متعلقان بأخرجنا وأزواجاً مفعول به ومن نبات صفة لأزواجاً وشتى صفة لأزواجاً أو حال منه لأنه وصف وأجاز الزمخشري

أن يكون صفة للنبات . (كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) كلوا فعل أمر وفاعل والجملة معمولة لحال محذوفة أي قائلين أو آذنين في الانتفاع بها ، مبيحين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها وارعوا عطف على كلوا وأنعامكم مفعول به لارعوا وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم ولآيات اللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولأولي النهى صفة لآيات والنهى مضاف لأولي وهي جمع نهيه وقيل اسم مفرد . (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) منها متعلقان بخلقناكم وفيها متعلقان بنعيدكم ومنها متعلقان بنخرجكم وتارة ظرف متعلق بنخرجكم وأخرى صفة لتارة .

البلاغة :

١ ـ الايجاز :

في قوله تعالى « ثم هدى » إيجاز بليغ لأنه حذف جملاً لا يقع عليها الحصر لأنه ليس بالمتاح إحصاء المخلوقات الحية وغير الحية ، العاقلة وغير العاقلة التي خلقها الله ولكل منها عمله الميسر له على حد قوله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق له » فمن العسير بل من المستحيل أن يتحدث أحد عن المرتفقات العامة واعطاء كل مرتفق الى صاحبه المخلوق له الـذي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل اليه ولهذا أحسن الزمخشري بقوله : « ولله در هذا الجواب ما أحصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالباً للحق » ثم إن للايجاز فائدة أخرى وهي أن فرعون أراد أن يصرف موسى عليه السلام بعد أن أوشك أن يفضحه ويبطل خرافاته ، الى مالا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات

والأساطير فأجابه موسى بأن ذلك ليس من خصائص الرسالة وانما علمه عند ربي فلما سأله عن ربه أوجز الكلام على هذا الشكل البديع .

٢ ـ الالتفات :

من الغيبة الى لفظ التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل والفائدة منه التنبيه على ظهور مافي الارض من الدلالة على كمال القدرة الإلهية والحكمة التي لا تطيش وانقياد المخلوقات جميعاً لمشيئته وقيل لا التفات في الكلام لأنه يشترط في الالتفات أن يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فإن الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم قوله : الذي جعل لكم الأرض مهاداً الى قوله فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى فإما أن يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك : أمرنا وعمرنا وانما يريدون الملك وليس هذا بالتفات وإما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله : ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس التفاتاً أيضاً وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب .

وقد يبدو هذا الرد وجيهاً لأول وهلة ولكن نذكر أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال : الذي جعل لكم الأرض مهاداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجاً من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لأن الحاكي هو المحكي في كلام موسى فمرجع الضميرين واحد وهذا الوجه دقيق وهو أقرب الوجوه الى الالتفات .

الفوائـد :

حول « لايضل ربي ولا ينسى » :

أقرب ما يقال في نفي الضلال والنسيان عن الله تعالى وهو غني عن النفي لأنه علام الغيوب أن يقال هو من باب التعريض والمعنى : ان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي لا يضل كما تضل أنت يا مدعي الربوبية بالجهل والصلف والوقاحة .

وقال القفال : « هناك فرق بين يضل وينسى أي لا يضل عن الاشياء ومعرفتها وما علمه من ذلك لم ينسه فاللفظ الاول إشارة الى كونه عالماً بكل المعلومات واللفظ الثاني دليل على بقاء ذلك العلم أبد الآباد وهو اشارة الى نفي التغير » .

هذا،واختلف في معنى لا يضل ربي ولا ينسى على أقوال :

الاول : انه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله في كتاب .

الثاني : ان معنى لا يضل لا يخطىء .

الثالث : ان معناه لا يغيب .

الرابع : ان معناه لا يحتاج الى كتاب ولا يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسى ما علمه منها .

الخامس : ان هاتين الجملتين صفة لكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناس له .

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

اللغة :

(ضحى) : الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها وقد سمت العرب ساعات النهار بأسماء فالأولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب •

ويقال فيها : البكور ثم الشروق ثم الإشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الأصيل .ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب •

(فيسحتكم) : يهلككم من أسحت الرباعي وهي لغة نجد وتميم أي أهلك ويقال سحت وهي لغة الحجاز وأصل هذه المادة تدل على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر أي استقصاه فلم يترك منه شيئاً ويستعمل في الإهلاك والإذهاب وفي القاموس « سحت يسحت من باب فتح وسحّت بالتشديد اكتسب السحت أي المال الحرام وسحته أهلكه واستأصله وذبحه وسحت الشحم عن اللحم قشره وسحت وجه الأرض محاه وأسحت : أفسده وأهلكه واستأصله » .

الاعراب :

(ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وأريناه فعل ماض من رأى البصرية ولكنها تعدت الى اثنين لدخول همزة النقل عليها ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل والهاء مفعول به أول وآياتنا مفعول به ثان وكلها تأكيد لآياتنا فكذب وأبى عطف على أريناه وقد مرت آيات موسى التسع ثم الآيتان الأخيرتان وهما العصا ونزع اليد . (قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو أي فرعون وجملة أجئتنا مقول القول والهمزة للاستفهام الانكاري وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به ولتخرجنا اللام للتعليل وتخرج فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ونا مفعول به ومن أرضنا متعلقان بتخرجنا وبسحرك متعلقان بتخرجنا . (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى) الفاء الفصيحة واللام جواب قسم محذوف تقديره والله لنأتينك وبسحر متعلقان بنأتينك ومثله صفة لسحر ويجوز أن يتعلق بسحر بمحذوف حال أي متلبسين بسحر مثله في الغرابة يعارضه ويدحضه ، فاجعل الفاء عاطفة واجعل فعل أمر

وفاعله أنت وبيننا ظرف متعلق بمحذوف ،معول به ثان وبينك عطف وموعداً مصدر ميمي مفعول به أول وجملة لا نخلفه صفة لموعداً ونحن تأكيد للضمير في نخلفه والواو عاطفة ولا نافية وأنت عطف على الضمير في نخلفه ومكاناً بدل من موعداً بتقدير مضاف أي مكان موعد أو تعرب مكاناً منصوباً بنزع الخافض أي في مكان أو تنصبه بالمصدر وهو موعد.وسوى صفة أي وسطاً وهو بضم الواو وكسرها وهذا وجه من أعاريب أخرى ستأتي في باب الفوائد• (قال: موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى) موعدكم مبتدأ ويوم الزينة خبر وان وما بعدها عطف على يوم الزينة إما على اليوم فيكون محل المصدر الرفع وإما على الزينة فيكون محله الجر والناس نائب فاعل وضحى ظرف متعلق بيحشر وسيأتي بحث يوم الزينة والعلة في اختياره • (فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى) الفاء عاطفة وتولى فعل ماض وفرعون فاعل فجمع عطف على فتولى وكيده مفعول به على حذف مضاف أي ذوي كيده وهم السحرة ثم حرف عطف وأتى عطف على جمع وعبر بثم للدلالة على انه استغرق وقتاً في جمع السحرة ورسم الخطط • (قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً) قال فعل ماض ولهم متعلقان به وموسى فاعل وويلكم مصدر للدعاء أمات العرب فعله فهو منصوب بفعل محذوف ولا ناهية وتفتروا فعل مضارع مجزوم بلا وعلى الله متعلقان بتفتروا وكذباً مفعول به • (فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) الفاء فاء السببية ويسحتكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي وبعذاب متعلقان بيسحتكم وقد الواو حالية وقد حرف تحقيق وخاب فعل ماض ومن فاعل وجملة افترى صلة•(فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى) الفاء عاطفة وتنازعوا فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة والواو فاعل وأمرهم مفعول به أو منصوب بنزع الخافض وبينهم ظرف

متعلق بمحذوف حال وأسروا عطف على تنازعوا والنجوى مفعول به أي أخفوها أي انهم تشاوروا في السر . (قالوا : إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) إن مخففة من الثقيلة ومهملة وهذان اسم اشارة للمثنى في محل رفع مبتدأ واللام الفارقة وساحران خبر هذان وجملة يريدان صفة لساحران وان ومافي حيزها مفعول يريدان ومن أرضكم متعلقان بيخرجاكم بسحرهما حال أي متلبسين بسحرهما ويذهبا عطف على يخرجاكم وبطريقتكم متعلقان بيذهبا والمثلى صفة لطريقتكم .

البلاغة :

في قوله « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » فن رد العجز على الصدر وسماه المتأخرون التصدير وهو أخف على السمع وأليق بالمقام وقد تقدم البحث فيه ونضيف هنا أن ابن المعتز قسمه ثلاثة أقسام :

الأول ما وافق آخر كلمة في المصراع الأول آخر كلمة في المصراع الثاني أو كانت مجانسة لها كقول بعضهم :

يلقى اذا ما كان يوم عرمرم ... في جيش رأي لا يفل عرمرم

والقسم الثاني ما وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه كقول الآخر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه ... وليس الى داعي الندى بسريع

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلمة في الصدر منه كقوله :

سقى الرمــل صوب مستهل غمامــه

وما ذاك إلا حب من حــل بالرمــل

وقال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع : « والذي يحسن أن يسمى القسم الأول تصدير التقفية والثاني تصدير الطرفين والثالث تصدير الحشو » . والامثلة على ذلك كثيرة .

الفوائــد :

كثر اختلاف المعربين في قوله تعالى « فاجعل بيننا موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » والحق انه من معضلات التراكيب وقد اخترنا في الاعراب أمثل الوجوه وأقربها الى المنطق وأدناها الى السهولة، بقيت هناك أمور لا بد من ايضاحها :

موعداً : اختلف فيه على الأوجه التالية :

آ ـ اسم زمان ويرجحه قوله « قال موعدكم يوم الزينة » والمعنى عـيّن لنا وقت اجتماع ولذلك أجابهم بقوله: « موعدكم يوم الزينة » .

ب ـ اسم مكان ويرجحه قوله « مكاناً سوى » والمعنى بـيّن لنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فنأتيه .

ج ـ مصدر ميمي بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان وعد ويؤيد هذا قوله « لا نخلفه نحن ولا أنت » لأن المواعدة توصف بالخلف وعدمه وهذا ما اخترناه .

فإن جعلتــه زماناً لزمك شيئان : أن تجعــل الزمان مخلفاً وأن يفضــل عليك ناصب مكاناً وان جعلتــه مكاناً لزمك أيضاً أن توقــع

الاخلاف على المكان وأن لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة فبقى أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف أي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكاناً بدل من المكان المحذوف .

وجوز أبو علي الفارسي وأبو البقاء أن ينتصب مكاناً على المفعول الثاني لاجعل قالا وموعداً على هذا مكان أيضاً ولا ينتصب بموعداً لأنه مصدر قد وصف يعني أنه يصح مفعولاً ثانياً ولكن بشرط أن يكون الموعد بمعنى المكان ليطابق الخبر .

وجعل الحوفي انتصاب مكاناً على الظرف وانتصابه باجعل فتحصل في نصب مكاناً خمسة أوجه :

١ ـ أنه بدل من مكاناً المحذوف .

٢ ـ انه مفعول ثان للجعل .

٣ ـ انه نصب باضمار فعل .

٤ ـ انه منصوب بنفس المصدر .

٥ ـ انه منصوب على الظرف بنفس اجعل .

وانما أوردنا هذه الاقوال لأنها قريبة ولأن استيعابها مفيد للغاية فتدبر .

فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ

أَلْقَوْا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

اللغـــة :

(فأجمعوا) : أي ازمعوا كيدكـم واجعلوه مجمعاً عليـه حتى لا تختلفوا كالمسألة المجمع عليها ويقال : اجمعوا الأمر واجمعوا عليه ، وفلانة بجُمع أي عـذراء وضربه بجمع كفـه واستجمع لفلان أمره واستجمع السيل واستجمع الفرس جرياً قال يصف السراب :

ومستجمع جرياً وليس ببارح ... تباريه في ضاحي المِتان سواعده

أي مجاريه واستجمع الوادي إذا لم يبق منه موضع إلا سال وعن بعض العرب : الرُّمة وفلـج" لا يستجمعان إنما يسيلان في نواحيهما وأضواجهما ؛ واستجمع القوم ذهبوا كلهـم وجمعوا لبني فـلان إذا حشدوا لقتالهم « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » وأجمعت القدر غلياً قال امرؤ القيس :

ونحشُ تحت القدر نوقدُها ... بغضا الغريف فأجمعت تغـلي

ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثياب أي كبرت لأنها تلبس الدرع والخمار والملحفة •

(فأوجس) : الإيجاس : الاضمار وايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية •

(تلقف) : تبتلع وأصله التناول بسرعة قال في القاموس : لقِف يلقف من باب تعب لقْفاً والتقف الشيء تناوله بسرعة •

الاعراب :

(فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى) الفاء الفصيحة أي اذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين الخ فأجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعاً بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وأجمعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وكيدكم مفعول به إذا اعتبرت أجمعوا متعدية وبعضهم لم يعتبرها متعدية فيكون كيدكم منصوباً بنزع الخافض ثم ائتوا عطف على أجمعوا وصفاً حال وانما أمرهم بذلك لإدخال الرهبة في صدور الرائين ، وقال أبو عبيدة : الصف موضع المجمع ويسمى المصلى الصف قال الزجاج : وعلى هذا معناه ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم يقال أتيت الصف بمعنى أتيت المصلى فعلى هذا يكون انتصابه على المفعولية • وقد الواو اعتراضية وقد حرف تحقيق وأفلح فعل ماض واليوم ظرف متعلق بأفلح ومن فاعل أفلح وجملة استعلى صلة • (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى) إما حرف شرط وتفصيل ومعناها هنا التخيير ولا يكون إلا بعد الطلب ، وأن وما بعدها في

تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره اختر أحـــد الأمرين أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر القاؤك أو مبتدأ والخبر محذوف والتقدير إلقاؤك أول وإما أن تكون عطف على ما تقدم واسم نكون مضمر تقديره نحن وأول خبرها ومن مضاف اليه وجملة ألقى صلة . ويجوز أن تكون ان ومافي حيزها في محل نصب بفعل مضمر أي اختر إلقاءك أولاً أو القاءنا • (قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) بل حرف اضراب وعطف وألقوا فعــل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل فإذا الفاء عاطفة عــلى محذوف تقديره فألقوا فإذا وإذا هذه للمفاجأة وقد تقدم أنها حرف أو ظرف ثم اختلف أهو ظرف مكان أو زمان وسننقل قول الز مخشري فهو غاية الغايات قال :

« والتحقيق فيها أنها إذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصباً لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلاً مخصوصاً وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى « فإذا حبالهم وعصيهـــم » ففاجـــأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى عــلى مفاجأته حبالهــم وعصيهم مخيلة إليه السعي » •

وحبالهم مبتدأ وعصيهم عطف عليه وجملة يخيل اليه خبر حبالهم وإذا جعلت إذا خبراً فتكون جملة يخيل إليه حال ومن سحرهم متعلقان بيخيل وأنها وأن واسمها وجملة تسعى خبر أن وأن وما بعدها في تأويل مصدر نائب فاعل ليخيل أي يخيل إليه سعيها وجعل الزمخشري المصدر بدل اشتمال من الضمير في حبالهم وعصيهم • (فأوجس في نفسه خيفة موسى) الفاء عاطفة وأوجس فعل ماض ، وفي نفسه متعلقان بأوجس

وخيفة مفعول به وموسى فاعل • (قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى) قلنا فعل وفاعل وجملة لا تخف مقول القول ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت وجملة انك مستأنفة كتعليل للنهي عن الخوف الذي ساوره لطبع البشرية من ضعف القلب وان كان متيقناً من أن الله ناصره وأنهم لن يصلوا اليه بسوء وإن واسمها وأنت تأكيد أو ضمير فصل أو مبتدأ والأعلى خبر إن أو خبر أنت والجملة خبر إن وسيأتي الكلام على المبالغة في هذا التعبير في باب البلاغة • (وألق مافي يمينك تلقف ما صنعوا) وألق الواو عاطفة وألق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت وما مفعول به وفي يمينك متعلقان بمحذوف صلة ما وسيأتي سر هذا الابهام في باب البلاغة وتلقف جواب الطلب مجزوم وعلامة جزمه السكون وفاعل تلقف ضمير مستتر تقديره هي وما مفعول به وجملة صنعوا صلة أي ما زوّروه وكذبوا فيه • (إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) تعليل لقوله تلقف وإن واسمها وجملة صنعوا صلة وكيد ساحر خبر إن ، وقد درج المصحف على كتابة ما متصلة بان ، ويجوز أن تكون ما مصدرية والاعراب واحد ولا الواو حالية أو عاطفة ولا نافية ويفلح الساحر فعل مضارع وفاعل وحيث ظرف مكان مبني على الضم متعلق بيفلح وجملة أتى مضافة الى الظرف • (فألقي السحرة سجداً قالوا : آمنا برب هارون وموسى) الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديرها فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه فألقي السحرة فعل ماض مبني للمجهول والسحرة نائب فاعل وسجداً حال من السحرة قالوا فعل وفاعل وجملة آمنا مقول القول وهو فعل وفاعل وبرب هارون وموسى متعلقان بآمنا •

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون من البيان تذهل العقول ، فأولها :

١ ــ فن الاستدراج وقد تقدم القول فيه وهو بالاضافة الى ما فيه من البلاغة ينطوي على نكت دقيقة في استدراج الخصم واضطراره الى الإذعان والتسليم فقد شاء السحرة في بادىء الأمر استدراج موسى ثقة منهم بأنهم فائزون عليه وكأنما ألهمهم الله حسن الأدب مع موسى في تخييره واعطائه النصفة من أنفسهم عندما قالوا « فاجعل بيننا وبينك موعداً لانخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى » ففوضوا ضرب الموعد اليه ولكن موسى استدرجهم بإلهام من الله عز وجل أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤوس الأشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لسترهم ولما استدرجوه الى التخيير في الإلقاء أيكون هو البادىء أم يكونون هم البادئين استدرجهم هو إلى أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون القاؤه العصا بعدُ قذفاً بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق فما أروع هذا الكلام .

٢ ــ فن توكيد الضميرين ، وقد تتساءل وما علاقة البحث النحوي بالبلاغة ؟ والضمائر وتوكيد بعضها لبعض مذكورة في كتب النحو ونقول ان المسألة أجلّ وأسمى من النحو ، والنحاة بمعزل عن هذا الفن الرفيع ونعني بتوكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك إنك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك إنك إنك لعالم وانما يؤتى بمثل ذلك في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان ومن ذلك قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين » فإن إرادة السحرة

الإلقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لأنهم لم يصرحوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دلّ ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والإلقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله إن كان قالوا : إما أن تلقي وإما أن نلقي لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم « وإما أن نكون نحن الملقين » استدل بهذا القول على رغبتهم في الالقاء قبله ومنه أيضاً قوله تعالى « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى » فتوكيد الضميرين ها هنا في قوله إنك أنت الأعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت للغلبة والقهر ولو قال : لا تخف إنك الأعلى أنت الأعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفي الخوف ما لقوله « إنك أنت الأعلى »

وفي هذه الكلمات الثلاث ست فوائد :

١ً ـ « إن » المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها وتأكيده وقد نص علماء المعاني على أن الخبر يكون مع إن طلبياً أو إنكارياً لا ابتدائياً كقولك زيد قائم ثم تقول : إن زيداً قائم ففي قولك إن زيداً قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس في قولك زيد قائم .

٢ً ـ تكرير الضمير في قوله « إنك أنت » ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المثابة في التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره .

٣ً ـ لام التعريف في قوله « الأعلى » ولم يقل أعلى أو عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك رجل فإنه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال وإذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علماً فيهم وكذلك جاء قوله « إنك أنت الأعلى » أي دون غيرك .

٤ً ــ لفظ أفعل الذي من شأنه التفضيل ولم يقل العالي فهو أعلى من كل عال ٠

٥ً ــ لفظ العلو الدال على أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو ومعلوم أن الغرض من قوله « الأعلى » الغلبة إلا أن في الأعلى زيادة وهي كونها صادرة عن مكان عال ٠

٦ً ــ الاستئناف وهو قوله تعالى : « لا تخف إنك أنت الأعلى » ولم يقل لأنك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ في إيقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت ذلك في قرارة نفسه بما لا يدع أي مجال للشك ٠

هذا وقد تقدم نوع من هذا الفن وسيرد غيره في حينه ومواضعه ان شاء الله ، بقي أن نتحدث عن اختيار موسى يوم الزينة فما هو هذا اليوم ؟

يوم الزينة :

قيل فيه يوم عاشوراء ، ويوم النيروز ، ويوم عيد كان لهم في كل عام وكانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون ويظهرون فيه كل بهارجهم إذ يحشر فيه الناس منذ ضحوة النهار حتى المساء ٠

٣ ــ فن الابهام :

وذلك في قوله « مافي يمينك » فقد أبهمها لأمرين متضادين أولهما استصغار أمرها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي بيدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته

وكثرتها وصغره وعظمها ، وثانيهما تعظيم أمرها أي لا تعبأ بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يمينك شيئاً هو أعظم منها كلها فألقها تمحقها وتطيح بها بإذن الله ، وقد يقول قائل كيف يحتقر العصا ؟ والجواب ان المقصود بتحقيرها في جنب القدرة الإلهية تحقير كيد السحرة بطريق الأولى لأنها إذا كانت وهي الحقيرة الضئيلة التي لا يؤبه بها بالنسبة للقدرة الإلهية قد طاحت بما أتوا به من أضاليل مموّهة وأكاذيب مخترعة فما ظنك بكيدهم وأقل شيء يذهب به وهذا معنى دقيق قل من يتفطن له ، وقد رمق سماءه شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي فقال من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ويذكر الأسد وقد أعجله فضربه بسوطه :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه لمن ادّخرت الصارم المصقولا ؟

والمعنى إذا كنت تلقى هذا الاسد وهو أقوى الحيوانات وأشجعها بسوطك فلمن خبأت صارمك المصقول ؟

ولأصحاب البلاغة أيضاً طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقد قهره واستولى عليه وقد رمق سماءه أبو الطيب إذ وصف جيش الروم الذي لاقاه سيف الدولة فبالغ في تعظيم أمره وتصوير عدده البالغة والغاية هي أن يتناهى في تعظيم أمر سيف الدولة وجيشه فقال في وصف جيش الروم :

أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم

جعل الروم يبرقون لكثرة ما عليهم من الحديد ولم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن على رءوسهم البيض والمغافر وثيابهم الدروع فهم كالسيوف وأشار بهذا الوصف الى كثرة سلاح هذا الجيش تمهيداً للاشارة الى قوته :

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمع فيه كل لسن وأمة
فما تفهم الحداث إلا التراجم

فلله وقت" ذوب الغش" ناره
فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

وستأتي تتمة هذا الوصف البديع في موطن آخر من مواطن البلاغة التي رمق أبو الطيب سماء القرآن فيها •

نكتة أخرى في الابهام :

وهناك نكتة أخرى سوى قصد التعظيم والتحقير وهي أن موسى عليه السلام أول ما علم أن العصا آية من الله تعالى عندما سأله : وما تلك بيمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى : وألق مافي يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قال الله تعالى له « وما تلك بيمينك » وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيهاً له وتأنيساً حيث خوطب بما عهد أن يخاطب به وقت

ظهور آيتهـا وذلك مقـام يناسب التأنيس والتثبيت في موقف يزايل الوقار أشد النفوس قوة ورباطة .

٤ ـ فن التكرير :

وقد تقـدم كثيراً بحثه والاشارة اليه وذكر نماذج رائعـة منه وسيأتي المزيد والأكثر وهنا في هذه الآيات تكرر لفظ الإلقاء ولكنه تكرر لم يطرد علـى وتيرة واحدة وانما هو لفظ واحـد في معنيين متضادين متناقضين نقل بهما سبحانه عباده من غاية الكفر والعناد ، الى نهاية الايمان والسداد فما أعظم الفرق بين الإلقاءين : لقد ألقوا حبالهـم وعصيهم للكفـر والجحود . ثم ألقوا رءوسهم بعـد ساعة للشكر والسجود .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ

عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

الاعراب :

(قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) جملة آمنتم مقول القول والقائل هو فرعون وآمنتم الهمزة للاستفهام والتقريع والتوبيخ حذفت الهمزة الأولى وسهلت الثانية وهو فعل ماض وفاعل وله متعلقان بآمنتم وقبل ظرف متعلق بآمنتم أيضاً وأن آذن لكم المصدر المؤول مضاف لقبل • (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) ان واسمها واللام المزحلقة وكبيركم خبرها والذي صفة وجملة علمكم السحر صلة والسحر مفعول به ثان لعلمكم ، أي أن موسى لكبيركم أي معلمكم وأستاذكم وأعلاكم درجة في صناعة السحر ، قال الكسائي : الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال : جئت من عند كبيري ، وقال الواحدي : والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير ، وأراد فرعون من ذلك إلقاء الشبهة على الناس وإدخالها في صدورهم ليستريبوا ولا يؤمنوا وإلا فقد علم أنهم لم يتعلموا من موسى ولا كان رئيساً لهم ولا صلة بينه وبينهم • (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) الفاء الفصيحة واللام موطئة للقسم وأقطعن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره أنا وأيديكم مفعول به وأرجلكم عطف على أيديكم ومن خلاف حال بمعنى مختلفة ومن ابتدائية كأن القطع ابتدىء من مخالفة العضو للعضو • (ولأصلبنكم في جذوع النخل) الواو حرف عطف ولأصلبنكم عطف على لأقطعن

وفي الظرفيـــة شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف في الظرف وهو متعلق بأصلبنكم وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة . (ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى) ولتعلمن عطف على لأصلبنكم وأينا استفهامية مبتدأ وأشد خبر والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي تعلمن لأن الفعل علق بأي الاستفهامية ويجوز أن تكون أي موصوليه وبنيت لأنها أضيفت وحذف صـــدر صلتها وقد تقدمت نظائرها كثيراً وعنـــدئذ تكون هي المفعول به لتعلمن وأشد خبراً لمبتـــدأ محذوف تقديره هو وجملة أشـــد صلة الموصول وأبقى عطف عـــلى أشـــد . (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا) لن حرف نفي ونصب واستقبال ونؤثرك مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة مقول قولهم وعلى ما متعلقان بنؤثرك وجملة جاءنا صلة ومن البينات متعلقان بمحذوف حال والذي عطف عـــلى ما وأخروا ذكر الباري من باب تقديم الأدنى عـــلى الأعلى وسيرد بحث التقديم والتأخير في باب البلاغة وقيل الواو للقسم والذي مجرور بواو القسم أي مقسم به وهو الله تعالى وفطرنا صلة والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم وجواب القسم محذوف تقديره لا نؤثرك على الذي جاءنا من الحق . (فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) الفاء الفصيحة واقض فعـــل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وما مفعول به وأنت مبتدأ وقاض خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين وجملة أنت قاض صلة والعائد محذوف أي قاضيه وانما كافة ومكفوفة على الأرجح وتقضي فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول تقضي محذوف تقديره لباناتك أو مأربك وهـــذه ظرف والحياة بدل والدنيا صفة والظرف متعلق بتقضي ويجوز أن تكون ما

موصولة أو مصدرية وهي اسم إن والخبر هو الظرف ويجوز اعراب هـذه الحياة الدنيا مفعولاً به عـلى السعة . (إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) ان واسمها وجملة آمنا خبرها وبربنا متعلقان بآمنا واللام للتعليل ويغفر فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولنا متعلقان بيغفر وما عطف على خطايانا أي ليغفر لنا خطايانا ويغفر لنا أيضاً الذي أكرهتنا عليه ولك أن تجعل الواو ابتدائية وما مبتدأ وجملة أكرهتنا صلة والخبر محذوف أي مرفوع عنا وملقى عن كواهلنا وعليه متعلقان بأكرهتنا ومن السحر حال والله مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف عـلى خير (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنـم لا يمـوت فيها ولا يحيا) إن واسمها ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعل يأت مستتر تقديره هو وربه مفعول به والهاء مضاف اليه ومجرماً حال من فاعل يأت فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقـدم وجهنم اسمهـا المتأخر وجملة لا يموت فيها حالية من الهاء في له أو من جهنم وفيها متعلقان بيموت ولا يحيا عطف عـلى يموت . (ومن يأته مؤمناً قد عمـل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العـلى) ومن يأته مؤمناً تقدم إعراب نظـيرها وجملة قد عمل الصالحات صفة لمؤمناً فأولئك الفاء رابطة وأولئك اسم اشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم والدرجات مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك وجملة فأولئك في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من والعلى صفة للدرجات . (جنات عدن تجري من تحتها الأنهـار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) جنات عـدن بدل من الدرجات العلى أو خبر لمبتدأ محذوف وجملة تجري من تحتها الأنهار

صفة لجنات وخالدين فيهـا حال من « من » وفيها متعلقان بخالدين وذلك مبتدأ وجزاء خبر ومن مضاف اليه وجملة تزكى صلة •

البلاغـة :

معنى لأصلبنكم في جذوع النخل :

قوله « ولأصلبنكم في جذوع النخل » في الكلام استعارة مكنية تبعية وتقريرها انه شبّه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره ثم استعمل في المشبه « في » الموضوعة للمشبه به أعني الظرفية فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية وبتبعيتها في على وفي واذن ، ففي على بابها من الظرفية وهذا أصح الاقوال فيها وقيل ان في بمعنى على فلا يكون في الكلام استعارة •

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

اللغــة :

(يبساً) : بفتحتين قــال في القاموس : يبس الشيء ييبس من بابي علـم وحسب يبْساً ويُبساً واتّبس كان رطباً فجف فهو يبْس ويَبْس ويابس ويبوس ويبيس وأيبس » وسمع بعض العرب : جمّرت الخبز كي يابَس ظهره : جعلت عليه الجمر وقـد يَبست : إذا ذهب نداها وعود يابس وعيدان يُبْس والسفينة لا تجري على يبس « طريقاً في البحـر يبساً» وهي ترعى اليبس واليبيس : ما يبس من النبــات فاستعمال العامة للنبات اليبيس ليطبخ في غير أوانه لا غبار عليه ومن المجاز قد يبس ما بينهما : إذا تقاطعــا ولا توبس الثرى بيني وبينك قال جرير :

أتغلب أولي حلفة ما ذكرتكم بسوء ولكني عتبت على بكر
فلا توبسوا بيني وبينكم الثرى فإن الذي بيني وبينكم مُثري

(دركاً) : بفتحتــين أي أن يدركك فرعون وجنوده والــدرك والدرك بفتحتين وبفتح الدال وسكون الراء اللحاق وادراك الحاجـة وأقصى قعر الشيء يقال بلـغ الغواص درك البحر ويقــال فرس درك الطريدة أي يدركها ومنه قولهـم : ما لحقك من درك فعليّ خلاصه فاستعمال رجال الدرك صحيح لا غبار عليه .

الاعراب :

(ولقــد أوحينا الى موسى أن أسر بعبــادي) الواو عاطفــة أو استئنافية واللام جواب للقسم المحــذوف وأوحينا فعــل وفاعل والى موسى متعلقان بأوحينا وأن مفسرة وأسر بقطع الهمزة من أسرى فعل

أمر مبني على حذف حرف العلة وبعبادي متعلقان بأسر أي سر بهم ليلاً . (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) فاضرب عطف على أسر أي اجعل ، من قولهم ضرب له في ماله سهماً وضرب اللبن عمله فقول العامة : ضرب لبناً لا غبار عليه . ولهم متعلقان باضرب أي قائم مقام المفعول الثاني وطريقاً مفعول به أول وفي البحر صفة ويبساً صفة ثانية وهو وصف لما يئول اليه كما سيأتي في باب البلاغة أو مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل وصدق وجملة لا تخاف حالية من فاعل اضرب أي اضرب غير خائف أو صفة لطريقاً والعائد محذوف أي لا تخاف فيه أو هي جملة مستأنفة والأول أظهر ولا نافية وتخاف فعل مضارع مرفوع وفاعله أنت ودركاً مفعول به وجملة ولا تخشى عطف على لا تخاف . (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم) الفاء عاطفة واتبعهم فعل ماض متعد لاثنين حذف ثانيهما والتقدير فأتبعهم فرعون عقابه والهاء هو المفعول الأول وقيل الباء زائدة في المفعول الثاني والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده فهو كقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » واتبع قد جاء متعدياً الى اثنين مصرح بهما قال « وأتبعناهم ذرياتهم » وقيل هو بمعنى تبع يتعدى لواحد فتكون بجنوده في محل نصب على الحال فغشيهم الفاء عاطفة وغشيهم فعل ماض والهاء مفعوله أي غمرهم وما فاعل وجملة غشيهم صلة وهو من الابهام وسيأتي الكلام عنه مرة ثانية في باب البلاغة . (وأضل فرعون قومه وما هدى) الواو عاطفة مع تقديم وتأخير في الكلام لأن اضلاله قومه كان قبل الغرق طبعاً وأضل فعل ماض وفرعون فاعل وقومه مفعول به وجملة وما هدى عطف على أضل وسيأتي الكلام عن هذا العطف في باب البلاغة والتهكم فيه . (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) يا حرف نداء وبني إسرائيل منادى مضاف وقد

حرف تحقيق وأنجيناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن عدوكم متعلقان بأنجيناكم . (وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المنّ والسلوى) وواعدناكم عطف على أنجيناكم وواعدناكم فعل وفاعل ومفعول به أول وجانب الطور مفعول به ثان على حذف مضاف أي اتيان جانب ولا يكون ظرفاً لأنه محدود ، والأيمن صفة لجانب ونزلنا عطف على ما قبله لتتمة تعداد النعم الدنيوية والدينية المترادفة عليهم وعليكم متعلقان بنزلنا والمن مفعول به والسلوى عطف على المن وقد تقدم ذكرهما والنداء إما أن يكون لبني إسرائيل بعد انجائهم من البحر وإهلاك فرعون وجنوده وإما أن يكون موجهاً الى اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، خوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم ومع ذلك كفروا بالنعمة وغمطوها وجحدوها فهم علة العلل في مختلف ظروف الزمان والمكان ، وهم أداة تعطيل السلام في كل آن . (كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) كلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات متعلقان بكلوا وما مفعول به وجملة رزقناكم صلة ولا تطغوا الواو عاطفة ولا ناهية وتطغوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل وفيه متعلقان بتطغوا فيحل الفاء السببية ويحل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة لأنه وقع في جواب النهي وعليكم متعلقان بيحل وغضبي فاعل وقيل هو معطوف فيكون نهياً أيضاً . (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويحلل فعل الشرط وعليه متعلقان بيحلل وغضبي فاعل يحلل والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وهوى فعل ماض أي هلك والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من على التحقيق . (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة

وغفار خبر إن ولمن متعلقان بغفار وجملة تاب صلة وآمن وعمل عطف وصالحاً مفعول به أو صفة لمصدر محذوف أي عمل عملاً صالحاً ثم اهتدى عطف متأخر باعتبار الانتهاء لبعده عن أول الاهتداء أو للتفاوت بين المرتبتين فإن الاستمرار في التوبة والايمان والعمل الصالح هو الشرط الاساسي لقبول الاعمال .

البلاغـة :

في هذه الآيات أفانين متنوعة من الفنون ندرجها فيما يلي :

١ ـ المجاز المرسل :

وذلك في قوله يبساً لأنه لم يكن حين خاطبه الله تعالى يبساً ولكن باعتبار ما يئول اليه كقوله تعالى « إني أراني أعصر خمراً » وقد تقدم القول فيه مفصلاً .

٢ ـ الابهام :

وذلك في قوله « فغشيهم من اليم ما غشيهم » أي علاهم وغمرهم من الأمر الهائل الذي ليس في طوقهم احتماله مالا يمكن ادراك كنهه ولا سبر غوره وهو من جوامع الكلم التي يقل لفظها ويتشعب القول في معناها .

٣ ـ التهكم :

تقدم القول فيه مراراً وهو هنا في قوله « وما هدى » والمعروف أن التهكم هو أن يأتي المتكلم بعبارة والمقصود عكس معناها كقوله « إنك لأنت الحليم الرشيد » وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى « وما هدى » فمضمونه هو الواقع فهو حينئذ مجرد

إخبار عن عـدم هدايته لقومه فأين التهكم ؟ ولكن العرف في مثـل ما هدى زيد عمراً بثبوت الهداية لزيد في نفسه ولكنه يؤخذ عليه انه لم يهـد عمراً ولكن فرعون ضالٌ في نفسه بل ان الضلال مركوز في سليقته كامن فيه كمون الطبائع الاصيلة فكيف يتوهم انه يهدي غيره وإذن فهو جمع بين المثلبتين واكتنفه الشر من ناحيتين فحق لمثله وقد صار مهزأة ان يتهكم به ويكون أداة للتهكم •

٤ ـ المجاز العقلي :

وفي قوله تعالى « وواعدناكم جانب الطور الايمن » فإن لقائل أن يقول ان المواعدة كانت لموسى عليه السلام فكيف أضيفت اليهم ، وإيضاح الجواب الدقيق الذي لم أر من وفّاه حقه أنه مجـاز عقلي أسند المواعدة اليهم من قبل الله كما تسند الأمور المدركة الى من ليس له ادراك على حد المجاز العقلي وهذا من أسمى ما يصل اليه الأسلوب اللبق تقول لابن صديقك المتعسف المرتطم في حمأة الهوان لقد عرفتكم أهل حجا وتصون ، تريد أن تنسب اليه ما هو بعيد عنه بعد الامور المدركة عن غير العقلاء حين تنسب اليهم على طريق المجاز العقلي •

* وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

اللغــة :

(عـلى أثري) : الأثر بقية الشيء والجمـع آثار وأثور والخبر وخرج في أَثَره وإِثْره : بعده وائتثره وتأثّره تبع اثره والأثْر فرند السيف ويكسر كالأثير والجمع أثور ٠

(السامري) : في القاموس : الذي عبد العجل وكان علجاً من كرمان أو عظيماً من بني إسرائيل ينتسب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة نسبة الى مقاطعـة في فلسطين ، قال في المنجد : وهم قوم « يخالفون اليهود في نقاط دينية جوهرية منها أنهم لا يقرون من كتب الوحي إلا أسفار موسى الخمسة المعروفة بالتوراة وانهم يقولون بواجب العبادة لا في أورشليم ولكن على جبل جريزيم جنوبي شكيم » وقال في الخازن « واسمه موسى بن ظفر » ٠

الاعراب :

(وما أعجلك عن قومك يا موسى) الواو عطف عـلى محذوف يفهـم من السياق والتقـدير فسار موسى لحضور الميقات مـع قوم مخصوصين وهم السبعون الذين اختارهم موسى من بين قومه ليذهبوا معه الى جبل الطور ليأخذوا التوراة ، عجل من بينهم شوقاً الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وخلفهم وراءه فقال له تعالى : وما أعجلك وسيأتي المزيد عن هذا السؤال في باب البلاغة ٠ وما اسم استفهام مبتدأ وأعجل فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو يعود على ما والكاف مفعول به والجملة خبر ما وعن قومك متعلقـان بأعجلك ٠ (قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى) هم مبتدأ وأولاء خبر وعلى أثري خبر ثان أو حـال وعجلت فعـل وفاعل والواو حالية

بتقدير قد أو عاطفة واليك متعلقان بعجلت ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف ولترضى اللام للتعليل وترضى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليـــل والجار والمجرور متعلقان بعجلت أيضاً كأنه تعليل لعجلته • (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) قال فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعلم مصير قومك ، وان واسمها وجملة قد فتنا خبرها وهي فعل وفاعل وقومك مفعول به وأضلهم السامري فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر • (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً) تقدم القول في فاء التعقيب انها قد تتخلف في وقتها دون أن يحدث فاصل فلم يرجع موسى إلا بعد أن استوفى الاربعين يوماً وأخذ التوراة ، ورجع فعل ماض وموسى فاعـــل والى قومه متعلقان برجع وغضبان أسفاً حالان • (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة ، ألم الهمزة للاستفهام الانكاري ويعدكم فعل مضارع مجزوم بلم والكاف مفعول به وربكم فاعل ووعـــداً مفعول مطلق وحسناً صفة • (أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكـــم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي) الهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف على محذوف وطال فعـــل ماض وعليكـــم متعلقان بطال والعهد فاعـــل وأم حرف عطف معادل للهمزة وأردتم فعـــل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أردتم وعليكم متعلقان بيحل وغضب فاعل يحل ومن ربكم صفة لغضب فأخلفتم الفاء حرف عطف وأخلفتم عطف على أردتم وموعدي مفعول أخلفتم •

البلاغـــة :

الاستفهام من الله تعالى لا يقع لاستدعاء المعرفة ولكنه يخرج عن

معناه الأصلي لأغراض أخر تدرك من سياق الكلام وقد أفاد السؤال هنا أغراضاً نوجزها فيما يلي :

آ ـ لتعريف المسئول بما يجهله من أمور وقد أراد سبحانه تعريفه بفتنة قومه فقد قيل انهم كانوا نحو ستمائة ألف نفس ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً .

ب ـ تبكيت المسئول وتفهيمه وتنبيهه الى خطل ما جاء به من نرك القوم وافساح المجال للسامري كي يضلهم لأنه مغرق في الضلالة وماهر في الإضلال .

ج ـ تعليم المسئول آداب السفر وهي : انه ينبغي على رئيس القوم أن يتأخر عنهم في المسير ليكون نظره محيطاً بهم ونافذاً فيهم ومهيمناً عليهم ، وقاطعاً الطريق على كل فتنة قد تتسرب الى صفوفهم .

على أن موسى عليه السلام أغفل هذه الامور ولعله ملمٌ بها ومطلع عليها ولكن الشوق الى لقاء الله والمسارعة الى ميعاده ألهب قلبه فلم يملك عنان صبره الجامح وذلك شأن الموعود بما طال حنينه اليه يودّ لو امتطى أجنحة الطير واستبق الساعات وهل ثمة ما يلهب الشوق مثل مواعدة الله ؟

قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا

يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

اللغة :

(بملكنا) : بقدرتنا مصدر ملك وهو مثلث الميم وفي القاموس وشرحه التاج ملك يملك من باب تعب مَلكاً ومُلكاً ومِلكاً بفتح الميم وضمها وكسرها وملكة ومملكة بفتح اللام ومملكة بكسرها

ومسلكة بضسها الشيء احتواه قادراً على التصرف والاستبداد به وملك على القوم : استولى عليهم وملك عـلى فلان أمره استولى عليه وملك نفسه قدر على حبسها وملك المرأة تزوجها •

(أوزاراً) : أثقالاً وأرادوا بها حلي القبط التي استعاروها منهم وأرادوا بالأوزار انها آثام وتبعات لأنهم استعاروها منهم وليس لهم فيها حق •

(خوار) : بضم الخـاء صوت البقر والعجاجيل وعبر بالجسد مع أنه لا يقال للعاقل : ولأن الجسد لا يقال إلا للانسان تغليباً وتشبيهاً له بالعاقل كأنه غاير البقر ولا يقال جسد لغـير الانسان إلا للزعفران ويقال جساد بفتح الجيم أيضاً وللدم إذا يبس ويقال له جاسد أيضاً •

(يا ابن أم) : سيأتي في باب الفوائد •

(فقبضت): قبض يقبض من باب جلس بيده الشيء وعلى الشيء: أمسكه بيـده وضم عليه أصابعه وقبض يده عـن الشيء : امتنع عن إمساكه وقبضه عن الأمر أنحاه وقبضه الله أماته وقبض الشيء : خلاف بسطه ووسعه وقبض الطائر جناحه : جمعـه وقبض الـدار ونحوها تسلمها وقبض منه المال : أخـذه لنفسه وقبض قبضة أخذها ويقال قبص بالصاد المهملة لأنهمـا تتعاقبان في كثـير من الكلمـات نورد أهمها فيما يلي :

قال يعقوب بن السكيت : وقبضت قبضة وقبصت قبصة ويقال : إن القبصة أقل من القبضة وقال غيره : القبص بأطراف الأصابع والقبض بالكف كلهـا ويقال عـاد الى ضئضئه وصئصئه أي الى أصله والهمز الأصل وأنشد :

أنا من ضئضيء صدق بخ ومن أكرم حُذْل
من عزاني قال بَهْ بَهْ سِنْخُ ذا أكرم أصل

الحُذل : الحِجر وقال اللحياني : بخ بخ وبه به تقال للانسان إذا عَظّم ، وقال أبو عمرو : ما يَنُوضُ بحاجة وما يقدر على أن يَنُوص أي يتحرك ومنه قوله عز وجل : « ولات حين مناص » ومناص ومناض واحد ويقال : أنقاص وأنقاض بمعنى واحد وقال الأصمعي : المُنْقاض : المنقعر من أصله والمنقاص : المنشق طولاً وقال أيضاً : مضمض لسانه ومصمص لسانه إذا حركه وقال اللحياني : يقال : إنه لَصِلّ أصلال وضِلّ أضلال والصل الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ويقال مصمص إناءه ومضمضه إذا غسله فقول العامة مصمص العظم صحيح لا غبار عليه .

(بصرت) : بصر بالشيء بضم الصاد وأبصره بمعنى علمه وهو من باب ظرف ويقال بصر بالكسر من باب علم .

(مساس) : بكسر الميم مصدر ماس وستأتي حقيقة هذا التركيب في باب الاعراب .

الاعراب :

(قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قالوا فعل وفاعل وما نافية وأخلفنا فعل وفاعل وموعدك مفعول به وبملكنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي حال كوننا مالكين أمرنا ولكننا غلبنا على أمرنا من جهة السامري وكيده . (ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم) الواو

عاطفة ولكن واسمها وحملنا فعل ماضي بالبناء للمجهول ونا نائب فاعل وأوزاراً مفعول به ثان ومن زينة القوم صفـة . (فقذفناها فكـذلك ألقى السامري) الفاء عاطفة وقذفناها فعل وفاعل ومفعول وهو معطوف على محذوف أي فقال لنا السامري أقذفوها في النار لأن موسى تأخر عنكم بسببها فقذفناها الفاء حرف عطف وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم كثيراً وألقى السامري فعل وفاعل . (فأخرج لهـم عجلاً جسداً له خوار) الفاء عاطفة وأخرج فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على السامري والعطف على فأضلهم السامري لئلا يتوهم أنه من كلامهم ولهم متعلقان بأخرج وعجلاً مفعول به وجسداً حـال من عجلاً ولكن يشكل على هذا الاعراب الذي اختاره عدد من المفسرين أن صاحب الحال لا يكون إلا معرفة ولعل هذا العجل الذي أخرجه السامري من الحفرة التي فيها تراب اثر حافر الرسول الى موسى كما سيأتي صار بحكم المعرفة نقول ولا مانع من إعرابه بدلاً من عجلاً وجملة له خوار من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة . (فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) الفاء حرف عطف وقالوا فعل وفاعل وهذا مبتدأ وإلهكم خبر وإله موسى عطف على إلهكـم فنسي الفاء حرف عطف ونسي فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى أي نسي ربه فذهب يطلبه وقيل الضمير يعود على السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر . (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعاً) الهمزة للاستفهـام والفاء حرف عطف ولا نافية ويرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وأن مخففة من الثقيلة ولا نافية ويرجع فعل مضارع واسم أن المخففة ضمير الشأن أي انه ؛ وفاعل يرجـع مضمر تقديره هو يعود عـلى العجل واليهـم متعلقان بيرجع وقولاً مفعول به ولهذا ارتفع الفعل بعدها . (ولقد

قال لهم هارون من قبل) الواو حرف عطف واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وقال لهم هارون فعل ماض وفاعل ومن قبل متعلقان بمحذوف حال أي قبل رجوع موسى • (يا قوم إنما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وإنما كافة ومكفوفة وفتنتم فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل والميم علامة جمع الذكور وبه متعلقان بفتنتم وإن ربكم الرحمن ان واسمها وخبرها والفاء الفصيحة واتبعوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به وأطيعوا أمري عطف على اتبعوني • (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) لن حرف نفي ونصب واستقبال ونبرح فعل مضارع ناقص منصوب بلن واسمها ضمير مستتر تقديره نحن وعليه متعلقان بعاكفين وعاكفين خبر نبرح ، حتى حرف غاية وجر ويرجع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى وإلينا متعلقان بيرجع وموسى فاعل وهذا التعليق الذي جعلوه غاية لعكوفهم لم يكن منهم إلا تسويفاً وتعللاً ليس من قبيل الوعد بترك عبادته بعد رجوع موسى • (قال يا هارون ما منعك إذا رأيتهم ضلوا) ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة منعك خبر وإذ ظرف متعلق بمنعك وجملة رأيتهم مضافة للظرف ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به وجملة ضلوا حالية أو مفعول به ثان لرأيتهم إذا اعتبرتها قلبية • (أن لا تتبعني أفعصيت أمري) أن حرف مصدري ونصب ولا مزيدة أي أي شيء منعك من اتباعي في الغضب لله وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ، والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر وعصيت فعل ماض وفاعل وأمري مفعول به • (قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يا ابن أم يا حرف نداء وابن أم اسمان مبنيان على الفتح لتركبهما تركب الأعداد مثل خمسة

عشر أو الظروف مثل صباح مساء فعلى هــذا ليس ابن مضافاً الى أم بل هو مركب معها فحركتهما حركة بناء وقد تقدم تفصيل هذا التركيب في « الأعراف » وعلى كل فهما في محل نصب منادى وانما اقتصر في خطابه على الأم مع أنه شقيقه لأنذكر الأم أعطف لقلبه ، ولا ناهية وتأخذ فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعــل مستتر تقديره أنت وبلحيــتي متعلقان بتأخذ ولا برأسي عطف على بلحيتي . قيل كان موسى مجبولاً على الحدة والغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون غير الله أن أخذ برأس أخيه وبشعر وجهه يجره إليه . (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) ان واسمها وجملة خشيت خبر إن وأن ومافي حيزها مفعول خشيت وجملة فرقت مقول القول وبين ظرف مكان متعلق بفرقت وبني اسرائيل مضاف اليه ولم ترقب قولي عطف على فرقت أي وخشيت أن تقول لم ترقب قولي وعلى هذا يكون الضمير في قولي واقعاً على موسى ، ويجوز عطفها على خشيت فيكون الضمير في قولي واقعاً على هارون. (قال فما خطبك يا سامري) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على موسى والفاء عاطفة أو استئنافية وما استفهامية مبتدأ وخطبك خبر ويا حرف نداء وسامري منادى مفرد علم . (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) جملة بصرت مقول القول وفاعل قال هو أي السامري ، وبما متعلقان ببصرت وجملة لــم يبصروا به صلة ، فقبضت عطف على بصرت وقبضة مفعول به ، وهي مصدر مرة من قبض واطلاقها عــلى المقبوض من تسمية المفعول بالمصــدر ، ومن أثر صفة لقبضــة وأثر مضاف والرسول مضاف اليه عــلى تقدير محذوفين أي من أثر حافر فرس الرسول والمعنى من تربة موطئه ، وتفصيل القصة في المطولات وسنلخص لك ما قالوه في باب البلاغة (فنبذتها وكذلك سوّلت لي

نفسي) فنبذتها عطف على قبضت أي ألقيتها ، وكذلك نعت لمصدر محذوف وقد تقدم وسولت لي نفسي فعل وفاعل أي زينت لي نفسي •
(قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس) قال فعل ماض وفاعله يعود على موسى ، فاذهب الفاء عاطفة واذهب فعل أمر فاعله أنت، فإن الفاء عاطفة وان حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وفي الحياة متعلقان بمحذوف حال وأن وما بعدها اسم إن ولا نافية للجنس ومساس اسم لا والخبر محذوف فهو مبني مع لا الجنسية والمراد به النهي أي لا تمسني ولا أمسّك ، ومساس مصدر ماس كقتال مصدر قاتل ، قال الزمخشري : « عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك انه منع من مخالطة الناس منعاً كلياً وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضاً وإذا اتفق أن يماس أحداً رجلاً أو امرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه » • (وإن لك موعداً لن تخلفه) وإن حرف مشبه بالفعل ولك خبرها المقدم وموعداً اسمها المؤخر ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتخلفه منصوب بلن ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به ثان • (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليم نسفاً) وانظر الواو عاطفة وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإلى إلهك متعلقان بانظر ، والذي صفة وجملة ظلت صلة وظلت فعل ماض ناقص ، وأصله ظللت بلامين وأولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً ، وعليه متعلقان بعاكفاً وعاكفاً خبر ظلت ، ولنحرقنه اللام موطئة للقسم ونحرقنه فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ، ثم حرف عطف لننسفنه مثل نحرقنه وفي اليم متعلقان بننسفنه ونسفاً مفعول مطلق •
(إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) إنما كافة

ومكفوفة وإلهكم مبتدأ والله خبره والجملة مستأنفة والذي نعت وجملة لا إله إلا هو صلة وقد تقدم اعرابها كثيراً ووسع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وكل شيء مضاف اليه وعلماً تمييز من فاعل وسع •

البلاغـة :

الايجاز في هذه الآيات واضح جداً وهو في كل واحدة ، لأن تسلسل الحوادث يقتضي تقدير جمل لا بد منها ، وقد أشرنا اليها إشارات واضحة تجزىء عن إعادتها ولكننا نورد هنا إيجازاً بالحذف ورد في قوله تعالى « فقبضت قبضة من أثر الرسول » فقد حذف المضاف مكرراً هنا والتقدير من أثر حافر فرس الرسول وهذا الحذف شائع كثيراً في القرآن كقوله تعالى « ولكن البر من اتقى » وقوله « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية في قوله تعالى : « واسأل القرية » أي أهل القرية وقد ورد في الشعر أيضاً ومما جاء منه قول الخزيمي يرثي أبا الهندام وهو من شعراء الحماسة :

إذا لاقيت قومي فاسأليهم ... كفى قوماً بصاحبهم خبيراً

هل أعفو عن أصول الحق فيهم ... إذا عَسُرت وأقتطع الصدورا

أراد أنه يقتطع مافي الصدور من الضغائن أي يزيل ذلك بإحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه • وحذف المضاف أكثر من حذف المضاف اليه ومما جاء من حذف المضاف اليه في القرآن الكريم قوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » أي من قبل الغلب ومن بعده •

خلاصة قصة السامري :

هذا وسنخرج عن النطاق الذي ترسمناه في هذا الكتاب وهو نطاق الاعراب واللغة والبيان فنوزد لمحة خاطفة عن قصة السامري لعلاقتها بما نحن بصدده تاركين للقارىء مجال الرجوع الى المطولات • ففي الوقت الذي حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكباً حيزوم فرس الحياة لنذهب به ، فأبصره السامري فقال : إن لهذا شأناً فقبض قبضة من أثر تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال : قبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل ، وقيل انه كلما وضعت الفرس حافرها على شيء اخضر ، فعرف أن للتراب الذي تضع الفرس حافرها عليه شأناً وقيل غير ذلك مما لا تطمئن اليه النفس ويحتاج الى كثير من التمحيص •

الفوائد :

صاحب الحال :

الأصل في صاحب الحال التعريف لأنه محكوم عليه بالحال وحق المحكوم عليه أن يكون معرفة لأن الحكم على المجهول لا يفيد غالباً ، ويقع صاحب الحال نكرة بمسوغ يقربه من المعرفة وذلك في المواضع التالية :

١ ــ إذا تقدمت عليه الحال نحو في الدار جالساً رجل ، وقول كثير عزة :

لمية موحشاً طلل ... يلوح كأنه خلل

وفي المغني ان تقديم حال النكرة عليها ليس لأجل تسويغ الحال فيها بل لئلا يلتبس الحال بالصفة •

٢ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بوصف كقول الشاعر :

نجيت يا رب نوحاً واستجبت له في فلك ماخر في اليم مشحونا

فمشحوناً حال من فلك لوصفه بماخر •

٣ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً باضافة كقوله تعالى « في أربعة أيام سواء للسائلين » فسواء حال من أربعة لاختصاصها بالاضافة الى أيام •

٤ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بمعمول نحو : عجبت من ضرب أخوك شديداً ، فشديداً حال من ضرب لاختصاصه بالعمل في الفاعل وهو أخوك •

٥ ـ أن يكون صاحبها مخصوصاً بعطف نحو : هؤلاء أناس وعبد الله منطلقين ، فمنطلقين حال من أناس لاختصاصه بالعطف عليه وهو عبد الله •

٦ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنفي كقوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » فجملة ولها كتاب معلوم حال من قرية لكونها مسبوقة بالنفي ، وقد مرّ أن الزمخشري يرد هذا القول ويجعل الجملة صفة لقرية وانما توسطت الواو بينهما لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف •

٧ ـ أن يكون صاحبها مسبوقاً بنهي كقول الطرماح :

لا يركننْ أحد الى الاحجام يوم الوغى متخوفاً لحمام

فستخوفاً حال من أحد لأنه مسبوق بالنهي •

٨ ـــ أن يكون صاحبها مسبوقاً باستفهام كقول أحد الطائيين :

يا صاح هـــل حـم عيش باقياً فترى
لنفسك العـــذر في إبعادها الأمـــلا

فباقياً حال من عيش لكونه مسبوقاً بالاستفهـام بهـل ، وصاح منادى مرخم صاحب عـلى غـير قياس وحم بالحاء المهملة بمعنى قدر والإبعاد مصدر أبعد والأمل مفعوله •

هذا وقد يقع صاحب الحال نكرة بلا مسوغ كقولهم عليه مائة بيضاً ، فبيضاً بلفظ الجمع حال من مائة وليس تمييزاً خلافاً للمبرد لأن تمييز المائة لا يكون جمعاً منصوباً ولا مجروراً وهو من أمثلة سيبويه ، وفي الحديث : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً ووراءه رجال قياماً ، فقياماً حال من رجال وهو نكرة بلا مسوغ •

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

اللغــة :

(وزراً) : حملاً ثقيــلاً والمراد بها هنا العقوبة الثقيلة المرهقة الباهظة ، سماها وزراً تشبيهاً لها في ثقلها على من يحل به العقاب بالحمل الثقيل ينوء به الكاهل ويرزح الحامل تحت عبئه الفادح •

(زرقاً) : جمع أزرق وسبب اختياره لعيونهم يوم القيامة لوجهين:

١ ـ ان الزرقــة أبغض شيء من ألوان العيوب الى العرب لأن الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ومن أقوالهم في صفة العدو : « أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين » فأصهب من الصهبة بالصاد المهمــلة وهي حمرة أو شقرة في الشعر ، والسبال : ما عــلى الشارب من الشعر ومقدم اللحية والاثنان مرادان بها هنا وقال بشار في وصف البخيل :

وللبخيل عــلى أمواله علــل زرق العيون عليها أوجه سود

وهو من أبيات ممتعة نوردها بكاملها :

ظل اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخـــل معقود

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهــود

وللبخيل عــلى أمواله علــل زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخير ترجّي للنوال فما ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بُثَّ النوال ولا تمنعك قلتــه فكل ما سدَّ فقراً فهو محمود

٢ ـ ان المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق •
(يتخافتون بينهم) أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لما لحقهم من الرعب والهول وفي المختار : خفت الصوت سكن وبابه جلس والمخافتة والتخافت والخفت بوزن السبت : أسرار المنطق •

(أمثلهم) : أفضلهم وأعدلهم رأياً أو عملاً في الحياة الدنيا وجمعه أماثل ومُثُل ومؤنثه مثلى ، وأماثل القوم خيارهم ، والطريقة المثلى الشبهى بالحق ويقال المريض اليوم أمثل أي أحسن حالة ، وقال امرؤ القيس يصف الليل من معلقته :

وليل كموج البحر أرخى سدوله … عليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه … وأردف إعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل … بصبح وما الإصباح منك بأمثل

الاعراب :

(كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) كذلك : نعت لمصدر محذوف أي كما قصصنا يا محمد هذه القصة ونقص فعل مضارع فاعله مستتر تقديره نحن وعليك متعلقان بنقص ومن أنباء صفة لموصوف محذوف هو مفعول به لنقص أي نقص نبأ من أنباء ، وما مضاف اليه وجملة قد سبق صلة ، وقد الواو عاطفة وقد حرف تحقيق وآتيناك فعل ماض وفاعل ومفعول به ومن لدنا حال لأنه كان صفة لذكراً ، وذكراً مفعول به ثان أي قرآناً • (من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) من شرطية في محل رفع مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو

وعنه متعلقان بأعرض والفاء رابطة وان واسمها وجملة يحمل خبرها والفاعل مستتر تقديره هو ويوم القيامة ظرف متعلق بيحمل ووزراً مفعول وجملة من أعرض في محل نصب نعت لذكراً أي قرآناً منطوياً مشتملاً على هذه القصص يحمل المعرض عنها وزراً كاملاً يوم القيامة •

(خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) خالدين حال وفيه متعلقان بخالدين والضمير يعود للوزر أي في العقاب المتسبب عنه ففي الكلام مجاز كما سيأتي ، وساء الواو حالية أو عاطفة وساء فعل ماض من أفعال الذم وقد تقدم كثيراً وفاعله مستتر مميز بنكرة وهو حملاً والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم ، ولهم متعلقان بقول مقدر أي يقال لهم هذا الكلام ، وقيل هي كاللام في هيت لك أي لمجرد البيان فراجع سورة يوسف • ويوم القيامة ظرف متعلق بساء وحملاً تمييز • (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً) الظرف بدل من يوم القيامة وجملة ينفخ مضافة الى الظرف وينفخ فعل مضارع بالبناء للمجهول وفي الصور متعلقان بينفخ ، ونحشر الواو عاطفة ونحشر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والمجرمين مفعول به ويوم ظرف أضيف الى ظرف مثله متعلق بنحشر والتنوين في إذ عوض عن جملة وزرقاً حال من المجرمين• (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) الجملة حال من المجرمين أو مستأنفة مسوقة لبيان حالهم في ذلك اليوم ويتخافتون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وبينهم ظرف متعلق بيتخافتون ، وإن لبثتم جملة منصوبة بقول دل عليه يتخافتون والقول نصب على الحال أي قائلين في السر ، وان نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وعشراً ظرف زمان ذهاباً الى الليالي لأن الشهور غررها الليالي فتكون الأيام داخلة تبعاً وتخافتهم ناجم عن الرعب الذي داخلهم ، فكأن أيام الدنيا لم تكن شيئاً مذكوراً

فهم يتذكرون أيام السرور التي سنحت لهم في الدنيا كيف مرت عليهم كظل الطائرة .

(نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً) نحن مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وجملة يقولون صلة ، وإذ ظرف متعلق بأعلم وجملة يقول مضافة الى الظرف وأمثلهم فاعل وطريقة تمييز وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر ويوماً ظرف متعلق بلبثتم .

البلاغة :

المجاز المرسل في قوله « خالدين فيه » أي في الوزر ، والوزر لا يقام فيه ولكن أراد العقاب المتسبب عن الوزر ، فالعلاقة فيه السببية .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا

﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

اللغــة :

(قاعاً) : القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام والجمع أقْواع وأقْوُع وقيع وقيعان وقيعة ، وقيل هو المنكشف من الأرض ، وقيل المستوي الصلب منها ، وقيل مالا نبات فيه ولا بناء .

(صفصفاً) : الصفصف : الأرض المستوية الملساء كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة ، وفي القاموس : المستوي من الأرض ، وقاع صفصف مستو مطمئن فهو بمثابة التأكيد للقاع لأنه بمعناه .

(أمْتاً) : الأمت هو النتوّ اليسير ، يقال مدّ حبله حتى ما فيه أمت وقيل : الأمت هو التل وهو قريب من الأول وقيل الشقوق في الأرض وقيل الآكام وفي القاموس « أمَتَه يأمته قدره وحزره كأمّته وقصده وأجل مأموت مؤقت والأمت المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع والاختلاف في الشيء والجمع أمات" وامؤت"

والضعف والوهن والطريقة الحسنة والعوج والعيب في الفم وفي الثوب والحجر وأن يغلُظ مكان ويرق مكان والمؤمَّت المملوء والمتهم بالشر ونحوه والخمر حرمت لا أمت فيها أي لا شك في حرمتها » •

(همساً) : الهمس : الصوت الخفي وهو مصدر همست الكلام من باب ضرب إذا أخفيته ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت أخفافها إذا مشت •

(وعنت) : في المختار : عنا يعنو من باب سما يسمو سمواً فالألف محذوفة قبل تاء التأنيث لالتقاء الساكنين إذا ذل وخضع ومنه العناة جمع عان وهو الاسير •

(هضماً) : الهضم : النقص ، تقول العرب : هضمت لزيد من حقه أي نقصت منه ، ومنه هضيم الكشحين أي ضامرهما، قال امرؤ القيس :

إذا قلت هاتي نوليني تمايلت   عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل

ورجل هضيم ومهتضم أي مظلوم ، وهضمته واهتضمته وتهضمته كله بمعنى •

الاعراب :

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) الواو للاستئناف والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير تعنتهم واصرارهم على الجدل والمكابرة والاستهزاء ، ويسألونك فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقل الفاء عاطفة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وجملة ينسفها مقول القول والهاء مفعول به مقدم وربي

فاعل مؤخر ونسفاً مفعول مطلق • (فيذرها قاعاً صفصفاً) الفاء عاطفة ويذرها فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو أي الله تعالى والهاء مفعول به وقاعاً لك أن تعربها حالاً من الضمير المنصوب أو مفعولاً به ثانياً لتضمين يذر معنى التصيير ، وصفصفاً حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وأعربها بعضهم صفة له • (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) الجملة حال ثالثة أو حال أولى ولا نافية وترى فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت وفيها متعلقان بترى وعوجاً مفعول به ولا أمتاً عطف • وسيأتي مزيد من التقرير حول هذه الآية في باب البلاغة • (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له) الظرف متعلق بيتبعون أو بدل من يوم القيامة المتقدم وقد تقدم تقرير اضافة يوم الى الظرف ويتبعون الداعي فعل مضارع وفاعل ومفعول به ولا نافية للجنس وعوج اسمها مبني على الفتح وله خبرها وجملة لا عوج له حال من الداعي أو صفة لمصدر محذوف أي يتبعونه اتباعاً لا عوج له ويجوز أن تكون مستأنفة والأول أظهر لأن الضمير في له يعود عليه أي لا عوج لدعائه بل يسمع جميعهم فلا يميل الى أناس دون أناس • (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) الواو عاطفة وخشعت الاصوات فعل وفاعل وللرحمن متعلقان بخشعت والفاء عاطفة ولا نافية وتسمع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر وهمساً مفعول به لأن الاستثناء مفرغ •(يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) الظرف متعلق بتنفع واذ مضاف ولا نافية وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل ، وإلا أداة حصر ومن يجوز فيه أن يكون مفعولاً لتنفع وعندئذ تكون من واقعة على المشفوع ويجوز أن يكون بدلاً من الشفاعة على قاعدة المستثنى المنفي أو النصب على الاستثناء المتصل من الشفاعة ولا بد في هذين الوجهين من تقدير مضاف تقديره إلا شفاعة من أذن له واذا

اعتبر مستثنى منقطعاً وجب نصبه فتلخص فيه أربعة أوجه متقاربة الرجحان ورجح الزمخشري الرفع على البدلية وتبعه القاضي البيضاوي.

وجملة أذن له الرحمن صلة ورضي له قولاً عطف على أذن له ورجح أبو البقاء النصب على المفعولية . (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) الجملة استئنافية مسوقة لتقرير علمه تعالى ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلهم ، ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو وما مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول وأيديهم مضافة لبين ، وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم ، ولا يحيطون لك أن تجعل الواو عاطفة ولك أن تجعلها حالية ، ويحيطون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وبه متعلقان بيحيطون وعلماً مفعول به . (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً) وعنت الوجوه فعل وفاعل وللحي متعلقان بعنت والقيوم صفة ، وسيأتي المراد بالوجوه في باب البلاغة والواو حالية وجملة وقد خاب حالية ومن فاعل خاب وجملة حمل ظلماً صلة . (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) الواو عاطفة على وقد خاب ، ومن شرطية مبتدأ ويعمل فعل الشرط ومن الصالحات صفة لمفعول به محذوف أي ومن يعمل أعمالاً من الصالحات والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية ويخاف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وظلماً مفعول به ولا هضماً عطف على ظلماً وجملة لا يخاف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير فهو لا يخاف ، وجملة فهو لا يخاف في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من . (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً) الكاف صفة لمصدر محذوف أي مثل ذلك الانزال أنزلناه وقرآناً حال وعربياً صفة . (وصرّفنا فيه

من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) وصرفنا فعل وفاعل وفيه متعلقان بصرفنا ومن الوعيد صفة لمفعول محذوف أي صرفنا وعيداً من الوعيد ، ولعل واسمها وجملة يتقون خبرها وأو حرف عطف ويحدث عطف على يتقون ولهم متعلقان بيحدث وذكراً مفعول به ، وفاعل يحدث هو أي القرآن . (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) الفاء استئنافية وتعالى الله فعل ماض وفاعل والملك الحق صفتان لله ولا تعجل الواو عاطفة ولا ناهية وتعجل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وبالقرآن متعلقان بتعجل ومن قبل متعلقان بتعجل وأن يقضى المصدر المؤول مضاف لقبل واليك متعلقان بيقضى ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول ووحيه نائب فاعل، وقل عطف على لا تعجل ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وزدني فعل أمر والنون للوقاية والياء مفعول به أول وعلماً مفعول به ثان أو تمييز .

البلاغة :

في قوله تعالى : « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » فن طريف يذهل العقول ، ويسكر العواطف ، ولا يكاد يدركه إلا من أودع الله فيهم سر البيان ، وارتاضوا بالمعاناة والدربة على إدراك النكت التي تعز على من رامها وتطول ، وهذا الفن سموه فن « التنكيت » وحدّه أن يخص المتكلم شيئاً بالذكر دون غيره مما يسد مسده وما يقتضيه ظاهر الكلام لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه ، وهو كثير في القرآن الكريم وسيرد في مواطنه ، أما في هذه الآية فقد تقدم في الكهف أن أهل اللغة فرقوا بين العِوج والعَوج فقالوا : العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الأعيان ولذلك قال في الكهف « الحمد لله الذي

أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً » آما في هذه الآية فالأرض عين فكيف صح فيها المكسور العين ؟ أوليس مقتضى اللغة يوجب أن يستعمل العوج بالفتح ؟ وهنا يأتي هذا الفن ليسبر غور هذه النكتة التي تدق على النظرة السطحية الأولى ، ولا تقف عند التقارير اللغوية ، فنقول : إن اختيار العوج بالكسر في الآية له موضع حسن بديع في استواء الأرض ووصفها بالملاسة وانتفاء الاعوجاج عنها على أبلغ وجه ، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة من الارض فسويتها وبالغت في تسويتها على عينك وعلى عيون البصراء بالأراضي واتفقتم بالاجماع على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم عمدت الى المهندس تستطلع رأيه لا بحسب الحدس والتخمين والنظر المجرد بل بحسب المقاييس الهندسية المبنية على العلم الدقيق لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي الذي لا يضل ولا يعزب عنه القليل النادر . فنفى الله سبحانه ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الادراك والفهم أللهم إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة ، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الاحساس ولحق بالمعاني وسما عن الأعيان فقيل فيه عوج بالكسر .

وقد مرّ معنا وسيمر في هذا الكتاب نماذج رائعة لهذا التنكيت الذي ظهر لك في هذه الآية الكريمة مما لا يدركه إلا الحذاق الملهمون ، فلنرجىء القول فيها وسنعرض الآن على ناظريك نماذج من الشعر الجميل التي اشتملت على نكتة بارعة لتكون لك معالم صبح تحتذيها ، فمن ذلك قول الخنساء ترثي أخاها صخراً :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

وقد سئل الأصمعي عن قولها هذا : لم اختصت فيه طلوع الشمس وغروبها دون أثناء النهار ؟ فقال لأن طلوع الشمس وقت الركوب الى الغارات وغروب الشمس وقت قرى الضيفان .

ومنه قول الحسن بن هانىء ، أبي نواس :

ألا فاسقني خمراً وقـــل لي هي الخمر

ولا تسقني ســـراً إذا أمكن الجهـــر

فقال « وقل لي هي الخمر » وذلك لأن الحواس الأربع قد التذت حين شربها وبقيت حاسة وخدة لم تستكمل لذتها وهي حاسة السمع فقال «وقل لي هي الخمر» ليسمع ذلك فتكمل له اللذة بجميع حواسه .

ونكتفي الآن بما تقدم ولنا عودة الى هذا الفن الجميل .

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

اللغــة :

(تضحى) : ينتابك حـر الشمس في الضحى وفي القامـوس : « وضحا يضحو كغزا يغزو ضحواً برز للشمس وكسعى ورضي ضحواً وضحياً أصابته الشمس » .

(وسوس) : وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب في أنها حكايات للأصوات ، وسنتحدث عن أسماء الأصوات وحكاياتها في باب الفوائد ، وجاء في القاموس : « وسوس وِسواساً ووسوسة الشيطان له وإليه حدثه بشر أو بما لا نفع فيه ولا خير ووسوس الرجل: أصيب في عقله وتكلم بغـير نظـام وأصابته الوساوس فهو موسوس وتكلم بكلام خفي ، والوسواس صوت الحلي ، ووسوس الرجل كلمه كلاماً خفياً ، ووُسوس به بالبناء للمجهـول اختلط كلامـه ودهش ، والوسواس الاسم من وسوس ، والوسواس الشيطان ، والوسواس مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معـه الذهن ويقال لما يخطر بالقلب من شر أو لما لا خير فيه وسواس وجمعه وساوس .

(سوءاتهما) : عوراتهما وقد تقدمت •

(يخصفان) : أي يلزقان من خصف النعل وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان ورق الشجر بعضه ببعض حتى يصير عريضاً صالحاً للاستتار •

(اجتباه) : اصطفاه وقربه من جبى إلي كذا فاجتبيته فالمجتبى كأنه في الأصل من جمعت فيه المحاسن حتى اختاره غيره •

الاعراب :

(ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير مساوىء النسيان الذي هو صنو الجهل وقرينه ولذلك يجب التحوط منه والدعاء دائماً بقوله تعالى « وقل رب زدني علماً » • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعهدنا فعل وفاعل والى آدم جار ومجرور متعلقان بعهدنا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ، فنسي عطف على عهد أي نسي ما أمرناه به أي أن النسيان أمر ركوز في طباع بني آدم ، ولم نجد : الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم والفاعل مستتر تقديره نحن وعزماً مفعول به• (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) الظرف متعلق باذكر مقدراً أي واذكر وقت ما جرى على آدم من معاداة إبليس ووسوسته له وتزيينه له الأكل من الشجرة ومبادرة آدم بالطاعة له بعد ما سلف من النصيحة البالغة والتحذير من الشيطان ومكره وأحابيله • وقد تقدم اعراب الآية كثيراً فلا حاجة الى الاعادة ، ولا تنس اختلاف العلماء في اتصال الاستثناء وانقطاعه • وجملة أبى حالية • (فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك) الفاء عاطفة وقلنا فعل وفاعل ويا آدم نداء وجملة إن

مقول القول وهذا اسم ان وعـدو خبرها ولك صفة لعدو ولزوجك عطف على لك • (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) الفاء عاطفـة ولا ناهية ويخرجنكما فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به والفاعل مستتر وهو ابليس والميم والألف للتثنية ، فتشقى الفاء فاء السببية وتشقى فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره أنت وأسند فعل الشقاء الى آدم وحده لأن شقاء زوجه منوط بشقائه كما أن سعادتها منوطة بسعادته فاختصر الكلام مع المحافظة على الفاصلة • (إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى) إن حرف مشبه بالفعل ولك خبر مقدم وأن وما في حيزها اسمها المؤخر وفيها متعلقان بتجوع ولا تعرى عطف على لا تجوع • (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) عطف على سابقتها وسيأتي كلام بديع حول فصل الجوع عن الظمأ والعري عن الضحو والسر البياني الذي تتقطع دونه الاعناق في باب البلاغة • بقيت هناك مشكلة وهي عطف أنك على أن لا تجوع فكأنها اسم لإن بالكسر وهذا ممتنع فلا يقال : إن أن زيداً منطلق ولكن لما فصل هنا بينهما جاز فتقول : إن عندي أن زيداً قائم ، دعندي هو الخبر قدم على الاسم وهو ان وما في حيزها لكونه ظرفاً • والآية من هذا القبيل ، ورأى الزمخشري رأياً آخر فقال « فإن قلت : إن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيداً منطلق ، والواو نائبة عن أن وقائمة مقامها ، فلم أدخلت عليها ؟ قلت : الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إن ، إنما هي نائبة عن كل عامل ، فلما لم تكن حرفاً موضوعاً للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن » •

قال ابن هشام في صدد الحديث عن المواضع التي يجوز فيها كسر همزة إن وفتحها : السادس أن تقـع بعد واو مسبوقة بمفرد صالـح

للعطف عليه نحو إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ، قرأ نافع وأبو بكر بالكسر في « وانك لا تظمأ » إما على الاستئناف فتكون جملة منقطعة عما قبلها أو بالعطف على جملة إن الأولى وهي إن لك أن لا تجوع وعليهما فلا محل لها من الاعراب وقرأ الباقون من السبعة بالعطف على أن لا تجوع من عطف المفرد على مثله والتقدير ان لك عدم الجوع وعدم الظمأ » .

(فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) فوسوس الفاء عاطفة ووسوس فعل ماض واليه متعلقان بوسوس والشيطان فاعل ، قال يا آدم فعل ماض ونداء وهل حرف استفهام وأدلك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعلى شجرة الخلد متعلقان بأدلك وملك عطف على شجرة وجملة لا يبلى صفة لملك . (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى) فأكلا فعل ماض والألف فاعل ومنها متعلقان بأكلا فبدت عطف على أكلا ولهما متعلقان ببدت وسوءاتهما فاعل ، وطفقا فعل ماض من أفعال الشروع العاملة عمل كاد في وقوع الخبر فعلاً مضارعاً والالف اسمها وجملة يخصفان خبر طفقا وعليهما متعلقان بيخصفان ومن ورق الجنة صفة لموصوف محذوف هو المفعول به أي ورقاً من ورق الجنة قيل هو التين والأولى أن يكون عاماً ليشمل جميع أوراق الأشجار ، وعصى آدم ربه فعل وفاعل ومفعول به ، فغوى عطف على عصى . (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) ثم حرف عطف واجتباه فعل ومفعول به وربه فاعل فتاب عليه عطف على اجتباه وهدى عطف على تاب . (قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو) اهبطا فعل أمر مبني على حذف النون والألف فاعل ومنها متعلقان

باهبطا وجميعاً حال وبعضكم مبتدأ ولبعض حال لأنه كان صفة لعدو وعدو خبر وجملة بعضكم لبعض عدو في محل نصب على الحال • (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) الفاء عاطفة وإن شرطية وما زائدة ويأتينكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط والكاف مفعول به ومني متعلقان بيأتينكم وهدى فاعل يأتينكم ، فمن اتبع الفاء رابطة ومن شرطية مبتدأ واتبع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهداي مفعول به والفاء رابطة للجواب وجملة لا يضل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من وجملة من اتبع في محل جزم جواب إن •

البلاغة :

في قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » فن بديع يسمى قطع النظير عن النظير وذلك انه قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن الكسوة مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كلاً بشكله لتوهم المعدودات نعمة واحدة • ويسميه بعض علماء البيان « فن التوهيم » وقد سبقت الاشارة اليه وهو أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها وهو يريد غير ذلك ، ومنها أن يأتي في ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحناً خارجاً عن اللسان ، ومنها ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قلب عن وجهه لغير فائدة ، ومنها ما يأتي دالاً على أن ظاهر الكلام فاسد المعنى وهو صحيح • وهذه الآية من القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه لما ترى في الألفاظ من

عدم ملاءمة ، واذا تأمله المتأمـل حق التأمل وجده جارياً عـلى منهج البلاغة بحيث لو جاء على ما توهمه المعترض لكان النظم معيباً . وفي الآية يقول المتوهم لو قيل لا تجوع ولا تظمأ ولا تضحى ولا تعرى لكان ذلك جارياً على ما توجبه البلاغة من الملاءمة والجواب ان مجيئها على ماتوهمه المتوهم يفسد معنى النظم لأنه لو قيل : ان لك أن لا تجوع فيهـا ولا تظمـأ لوجب أن يقول وانك لا تعرى فيهـا ولا تضحى ، والتضحي البروز للشمس بغير سترة . قال الهذلي وقيل للمجنون كما في أمالي القالي :

سلبت عظـامي لحمها فتركتها مجردة تضحى لديك وتخصر

أي تلقى الشمس الضاحية مجردة فينال منهـا حرها وتلقى برد الليل مجردة فينال منها برده فهي معذبة ليلها ونهارها وإذا كان التضحي البروز للشمس بغير سترة كان معنـاه التعري فيصير معنى الكلام : وانك لا تعرى فيها ولا تعرى وهذا فساد ظاهر ، ولما كان هذا الفساد لازماً للنظم على الوجه الذي توهمه المتوهّم وجب العـدول عنه الى لفظ القرآن وهو أن يضـم سبحانه لنفي الجوع نفي العري لتطمئن النفس بسد الجوعة وستر العورة اللذين تدعو اليهما ضرورة الحياة وتطلبهما طبيعة الإنسان بالجبلّة ، ولما كان الجوع مقدّماً على العطش كتقديم الأكل على الشراب أوجبت البلاغة تأخر ذكر الظمأ عن الجوع وتقديمه على التضحي لأنه مهم يجب أن يتقدم الوعد بنفيه كما تقدم الوعد بنفي الجوع ، ويتأخر ذكر التضحي كما تأخر ذكر العري عن الجوع لأن التضحي من جنس العري والظمأ من جنس الجوع فإن قيل: لم ذكر التضحي وهو عري في المعنى وقد أغنى ذكر العري ؟ قلت : في ذكر التضحي فائدة كبيرة وهي وصف الجنة بأنهـا لا شمس فيها كما قال سبحانه : « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » فإن التضحي عري مخصوص

مشروط بالبروز الى الشمس وقت الضحى لذلك سمي تضحياً والانتقال من الأعم الى الأخص بلاغة لاختصاص الأخص بما لا يوجد في الأعم وقال العز بن عبد السلام في الأمالي : كان المناسب من طريق المجاز أن لا تجوع ولا تظمأ ولا تعرى ولا تضحى للجمع بين المتماثلين فلمَ عدل عن هذا ؟ والجواب : ان في الآية جناساً خيراً من هذا وذلك أن الجوع تجرد الباطن من الغذاء والعري تجرد الظاهر من الغشاء فجانس في الآية بين التجردين وكذلك الظمأ حر الباطن والضحى وهو الظهور للشمس حرّ الظاهر فجانس بالجمع بين الحرّين .

وقد رمق أهل البلاغة سماء هذا المعنى قديماً وحديثاً فقال أبو الطيب المتنبي :

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضّاح وثغرك باسم

يحكى انه لما استنشده سيف الدولة يوماً قصيدته التي أولها :

على قدْر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدْر الكرام المكارم

فلما بلغ الى هذين البيتين قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله :

كأني لم أركب جواداً للـذة ولم أتبطَّن كاعباً ذات خلخال
ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كرّي كرّةً بعد إجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتي امرىء القيس وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في المـــوت شـــك لواقف
ووجهـــك وضـــاح وثغرك باســـم
تمـــر بك الأبطـــال كلمى هزيمـــة
كأنك في جفن الردى وهـــو نائـــم

فقال المتنبي إن صحّ أن الذي استدرك على امرىء القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس واخطأت انا ، ومولاي يعلم أن الثوب لا يعلمـــه البزاز كمـــا يعلمه الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله ، وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحـــة بسباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردى في آخره ليكون أحسن تلاؤماً ، ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوساً وعينـــه باكية قلت « ووجهك وضاح وثغرك باسم » لأجمـــع بين الأضداد .

على أن في هذه الآية سراً لذلك زائداً على ما ذكر وهو أنه قصد تناسب الفواصل ولو قرن الظمـــأ بالجوع لانتثر سلك رؤوس الآي وأحسن به منتظماً .

الفوائـــد :

أسماء الأصوات :

وعدناك ببحث أسماء الاصوات ونرى أن تتوسع فيها قليلاً لأن كتب النحو قلّما تهتم لها. فهي تجري مجرى أسماء الافعال لأنها متواخية معها وهي مبنية وتنقسم الى قسمين :

آ ــ ما خوطب به مالا يعقل مما يشبه اسم الفعل في الاكتفاء به ، ولكن اسم الفعل مركب واسم الصوت مفرد لعدم تحمله الضمير كقولهم في دعاء الإبل لتشرب : جيء جيء بكسر الجيم فيهما مكررين مهموزين، وفي المحكم انهما أمر للابل بورود الماء يقال جأجأت الابل اذا دعوتها لتشرب فقلت جيء جيء نقله الجوهري عن الاموي ، وكقولهم في دعاء الضأن حاحا وفي دعاء المعز عاعا غير مهموزين والفعـــل منهما حاحيت وعاعيت ، قال سيبويه وأبدلوا الألف من الياء لشبهها بها لأن قولك حاحيت انما هو صوت بنيت منه فعــلاً وليست فاعلت وكقولهـــم في زجر البغل :

عدس ما لعبـــاد عليك إمارة أمنت وهـــذا تحملين طليق

فعدس صوت يزجر به البغل وقد يسمى البغل به والتقدير عـــلى التسمية به يا عدس فحذف حرف النـــداء • وإمارة بكســـر الهمزة أي حكم •

ب ــ ما حكي به صوت مسمـــوع ، والمحكي صوته قسمـــان حيوان وغيره : فالأول كغاق بالغـــين المعجمة والقاف لصوت الغراب ، والثاني نحو طاق حكاية لصوت الضرب وطق بفتح الطاء حكاية لصوت

وقع الحجارة بعضها على بعض • هـذا وسيرد المزيد من بحث أسماء الاصوات في هذا الكتاب •

نبذة من أسماء الأصوات :

وفيما يلي طائفة مختارة من أسماء الاصوات :

الصرير صوت القلم والسرير والباب والطست والنعل ، والنشيش صوت غليان القدر والشراب ، الرنين : صوت الثكلى والقوس ، القصيف : صوت الرعد والبحر ، وهدير الفحل ، النقيق صوت الدجاج والضفدع ، القعقعة : صوت السلاح والجلد اليابس والقرطاس ، الغرغرة : صوت غليان القدر وتردد النفس في صدر المحتضر ، العجيج: صوت الرعد والنساء والشاء ، الزفير : صوت النار والحمار والمكروب إذا امتلأ صدره غماً فزفر به ، الخشخشة والشخشخة : صوت حركة القرطاس والثوب الجديد والدرع ، الجلجلة : صوت السبع والرعد وحركة الجلاجل ، الحفيف : صوت حركة الأغصان وجناح الطائر وحركة الحية ، الصليل والصلصلة : صوت الحديد واللجام والسيف والدراهم والمسامير ، الطنين : صوت البعوض والذباب والطنبور ، الأطيط : صوت الناقة والمحمل والرجل اذا أثقله ما عليه ، الصرصرة : صوت البازي والبط ، الدوي : صوت النحل والأذن والمطر والرعد ، الانقاض : صوت الدجاجة والفروج ، التغريد صوت المغني والحادي والطائر وكل صائت طرب الصوت فهو غرد ، الزمزمة والزهزمة : صوت الرعد ولهب النار وحكاية صوت المجوسي إذا تكلف الكلام وهو مطبق فمه •

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا
(١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا
يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ
ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢)
وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ
(١٣٣) وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ

إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

اللغـــة :

(ضنكاً) : بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة ولهـذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة على حد القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة :

ونعتوا بمصدر كـثـيرا فالتزموا الافرادا والتذكيرا

وفي القاموس : « الضنك الضيق في كل شيء للذكر والانثى يقال ضنك ككرم ضنكاً وضناكة وضنوكة ضاق » وقرىء ضنكى على فعلى .

(يهد لهم) : أي يهتدي لهم فهو لازم ومعناه يتبين .

(آناء الليل) : جمع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعى بكسر الميم . وفي المختار : آناء الليل ساعاته ، قال الأخفش واحدها إنى مثل معى وقيل واحدها أني وأنو ، يقال مضى من الليل أنوان وانيان .

(متربص) : منتظر ما يئول اليه الأمر .

الاعراب :

(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً) الواو عاطفة على جواب الشرط المتقدم وهو « فمن اتبع هداي » ومن اسم شرط جازم مبتدأ وأعرض فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وعن ذكري متعلقان بأعرض ، فإن الفاء رابطة للجواب لأنه

جملة اسمية وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم ومعيشة اسمها المؤخر وضنكاً صفـة والجملة الاسمية في محـل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من.(ونحشره يوم القيامة أعمى)ونحشره الواو استئنافية ونحشر فعـل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ويوم القيامة ظرف متعلق بنحشره وأعمى حال من الهاء في نحشره وقد قرىء بالجزم عطفاً على محل « فإن له معيشة ضنكاً » .
(قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ولم اللام حرف جر وما الاستفهامية في محل جر باللام وقد حـذفت ألف ما الاستفهامية كما هي القاعـدة والجار والمجرور متعلقان بحشرتني ، وحشرتني فعـل وفاعـل ومفعول به وأعمى حال والواو للحال وقد حرف تحقيق وكنت: كان واسمها وبصيراً خبر كنت.
(قـال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) كذلك نعت لمصدر محذوف أي حشراً مثل ذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وأتتك آياتي فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، فنسيتها الفاء عاطفة ونسيتها فعل وفاعل ومفعول به ، وكذلك نعت لمصدر محذوف واليوم ظرف متعلق بتنسى . (وكـذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومن موصول مفعول به وجملة أسرف صلة ، ولم يؤمن عطف عـلى أسرف فهو داخل في حيز الصلة وبآيات متعلقان بيؤمن وربه مضاف إليه،ولعذاب: الواو حالية أو عاطفة واللام للابتداء وعذاب مبتدأ والآخرة مضاف إليه وأشد خبر وأبقى عطف على أشد . (أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الهمزة للاستفهام وهي داخلة عـلى محذوف عطف عليه بالفاء وقد تقدم تقريره كثيراً وأعدناه الآن للتذكير والتقدير أغفلوا فلم

يتبين لهم ، وفاعل يهد المصـدر المفهوم من أهلكنا أي أفلم يتبين لهم اهلاكنا ويحتمل أن يكون فاعل يهد ضميراً عائداً على الله تعالى أي يبين الله والأول أولى لأن يهدي معناه يتبين فهو لازم فالفاعل هو الجملة المنسبكة مصدراً لأهلكنا • وقد أنكر البصريون وقوع الجملة فاعلا وجوزه غيرهم قال القفال : جعل كثرة ما أهلك من القرون مبيناً لهم ، قال النحاس : وهذا خطأ لأن كم استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج : المعنى أولم يهد لهم الأمر باهلاكنا من أهلكناه وحقيقته تدل على الهدى فالفاعل هو الهدى • ولهم متعلقان بيهد وكم خبرية مفعول مقدم لأهلكنا ومن القرون نعت لتمييز كم الخبرية أي كم قرن من القرون والمراد الأمة ، وجملة يمشون في مساكنهم حال من مفعول أهلكنا أو من الضمير في لهم وفي مساكنهم متعلقان بيمشون والضمير يعود على المهلكين بفتح اللام يريد أن قريشاً يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويعاينون آثار هلاكهم وفيها ما يدعوا الى العبرة والاتعاظ ، وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المعنى كما سيأتي في باب البلاغة • (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) إن وخبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ، ولأولي صفـة لآيات والنهى مضاف اليه وهي جمـع نهية بمعنى العقـل • (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت من ربك صفة لكلمة ومن ربك متعلقان بسبقت ، لكان اللام واقعة في جواب لولا وكان فعـل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على الإهلاك ولزاماً خبرها، وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لكان الاهلاك لازماً لهم ويجوز كما يرى الزمخشري وأبو البقاء أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في «كان» أي لكان الإهلاك العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ومن العجيب ان معظم المفسرين كالجلال والبيضاوي وغيرهما جروا على هذا الوجه رغم

ما فيه من تكلف وقالوا : ان الفصل بالخبر قام مقام التأكيد لأنه كان من حق العطف أن يؤكد الضمير المستتر في كان بالضمير المنفصل فكان يقال هو لزاماً وأجل مسمى ولا داعي لكل هذا التكلف وعطفه على كلمة أسهل وأسرع في تأدية المعنى المراد . (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) الفاء الفصيحة أي اذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وهو واقع بهم وآت عليهم فاصبر . واصبر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى ما متعلقان باصبر وجملة يقولون صلة وسبح عطف على اصبر وبحمد ربك في موضع نصب على الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه وسيأتي المراد بالصبر في باب الفوائد . وقبل متعلق بسبح وطلوع الشمس مضاف وقبل غروبها عطف على قبل طلوع الشمس . (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) الجار والمجرور متعلقان بسبح والفاء هي الفصيحة أيضاً وسبح فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأطراف النهار نصب عطفاً على محل « ومن آناء » المنصوب ويجوز عطفه على قبل طلوع الشمس ولعل حرف ترج ونصب والكاف اسمها وجملة ترضى خبرها ومتعلق ترضى محذوف مفهوم من السياق أي بما تعطاه من الثواب وجملة لعلك ترضى حالية من فاعل سبح أي صل حال كونك راجياً في أن الله تعالى يرضيك بما يعطيكه من الثواب . (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) الواو عاطفة ولا ناهية وتمدن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد وهو في محل جزم بلا وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وعينيك مفعول به والى ما متعلقان بتمدن وجملة متعنا صلة وبه متعلقان بمتعنا والهاء هي العائد وأزواجاً مفعول متعنا أي أصنافاً منهم ومنهم صفة ويجوز أن يعرب

نصباً على الحال من هاء الضمير فيكون منهم متعلقاً بمتعنا وزهرة الحياة الدنيا توسع المعربون في اعرابها فأوصلوا أوجه نصبها الى تسعة وقد محصناها فرأيناها كلهـا سائغة ولهـذا نعرضها كما ذكروها لنتوصل إلى الترجيح :

١ ـ أن تكون مفعولاً ثانياً إذا أعربنا أزواجاً هو المفعول الاول لأن معنى متعنا أعطينا .

٢ ـ أن تكون منصوبة على الحال من ما الموصولة .

٣ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من أزواجاً على المبالغة كأنهم نفس الزهرة .

٤ ـ أن تكون منصوبة بفعـل مضمر دل عليه متّعنا تقديره جعلنا لهم زهرة .

٥ ـ أن تكون منصوبة على الذم أي أذم زهرة الحياة الدنيا .

٦ ـ أن تكون منصوبة على الاختصاص .

٧ ـ أن تكون منصوبة على البدلية من محل « به » .

٨ ـ أن تكون منصوبة على الحال من الضمير في « به » .

٩ ـ أن تكون منصوبة على التمييز لـ « ما » أو للهاء في « به » .

ومن تمحيص هذه الوجوه ومراعاة جانب السهولة يتبين أن نصب زهرة يترجح في نصبها على الذم أو المفعولية عـلى تضمين متعنا معنى أعطينا وبهما بدأ الزمخشري وغيره .

ولنفتنهم اللام للتعليل ونفتنهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد

لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بمتعنهم والهاء مفعول به وفيه متعلقان بنفتنهم • (ورزق ربك خير وأبقى) الواو للحال ورزق ربك مبتدأ وخير خبر وأبقى عطف على خير • (وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً) وأمر الواو استئنافية أو عاطفة وأمر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وأهلك مفعول به وبالصلاة متعلقان بفعل الأمر واصطبر فعل أمر وفاعله مستتر وتقديره أنت وعليها متعلقان باصطبر وجملة لا نسألك استئنافية ونسألك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ورزقاً مفعول به ثان • (نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) نحن مبتدأ وجملة نرزقك خبر والعاقبة مبتدأ وللتقوى خبر وهاتان الجملتان مستأنفتان أيضاً • (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى) لولا حرف تحضيض أي هلا ويأتينا فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبآية متعلقان بيأتينا ومن ربه متعلقان بمحذوف صفة لآية ، اقترحوا جرياً على ديدنهم المعروف وعادتهم في التعنت واللجاج ، أولم الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق والتقدير ألم تأتهم البينات تترى ولم تأتهم بصورة خاصة بينة ما في الصحف الأولى، وبينة فاعل لتأتهم وما موصول مضاف لبينة وفي الصحف متعلقان بمحذوف صلة الموصول والأولى صفة للصحف وفيها ما يكفي المنصف أما المكابر المتعنت فهيهات أن يقنعه شيء • (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً) تقدم اعراب مثل هذا التركيب أي لو ثبت اهلاكنا ، فأنا وما بعدها فاعل لفعل محذوف والجملة مستأنفة سيقت لتدعيم ما تقرر من تعنتهم وصلفهم ومجادلتهم وبعذاب متعلقان بأهلكناهم ومن قبله صفة لعذاب • لقالوا : جواب لو والجملة لا محل لها وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولولا حرف تحضيض

وأرسلت فعل وفاعل والينا متعلقان بأرسلت ورسولاً مفعول به والجملة مقول القول . (فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فنتبع الفاء هي السببية وتتبع منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض والفاعل مستتر تقديره نحن وآياتك مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم ومن قبل متعلقان بنتبع وان وما بعدها في تأويل مصدر مضاف لقبل ونخزى عطف على نذل . (قل كلٌ متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى) كل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومتربص خبر والجملة مقول القول والفاء الفصيحة وتربصوا فعل أمر ، فستعلمون الفاء استئنافية والسين حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومن اسم استفهامية مبتدأ وأصحاب الصراط السوي خبر ومن اهتدى عطف على من أصحاب والجملة من أصحاب مفعول تعلمون المعلقة عن العمل ويجوز أن تكون من موصولة مفعول تعلمون وأصحاب الصراط خبر لمبتدأ محذوف أي هم أصحاب .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل فقد ذكر القرون وأراد الأمم التي تعيش عبرها والاعتبار بآثار الأمم البائدة ، والقرون الخالية ، كان مثاراً لأخيلة الشعراء وخاصة في مقام الرثاء وأبرع من سما بخياله الى هذا المعنى أبو الطيب المتنبي والبحتري فنكتفي بهما وسنورد أبياتاً مختارة من قصيدتين لهما .

يقول عبد الله بن المعتز الشاعر العباسي الخليفة : « لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته في ايوان كسرى وقصيدته في وصف بركة المتوكل لكان أشعر الناس » فقد زار البحتري بعد أن سئم الحياة في بغداد بعد

مقتل المتوكل على الله المدائن وهي مدينة يقع فيها ايوان كسرى وقد أبدع في وصف الايوان إبداعاً فريداً زاده روعة أنه من شعراء العرب أول من وصف الآثار القديمة الخالدة واستوحاها وصب عليها من روحه وهذه مختارات منها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي
وترفعت عن جدا كلّ جبس

وتماسكت حيث زعزعني الدهـ
ـر التماساً منه لتعسي ونكسي

حضرت رحلي الهموم فوجهـ
ـت الى أبيض المدائن عنسي

ذكرتنيهم الخطوب التوالي
ولقد تذكر الخطوب وتنسي

حلل لم تكن كأطلال سعدى
في قفار من البسابس ملس

فكأن الجرماز من عدم الأنـ
ـس وإخلاله بنية رمس

لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتماً بعد عرس

فـــإذا ما رأيت صـــورة انطـــا
كيـــة ارتعت بـــين روم وفـــرس

والمنـــايا مواثـــل" وانوشـــر ...
... وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

في اخضـــرار من اللبـــاس على أصـــ
ـــفر يختـــال في صبيغـــة ورس

★ ★ ★

عمـــرت للســـرور دهـــراً فصارت
للتعـــزي رباعهـــم والتأســـي

فلهـــا ان أعينهـــا بدمـــوع
موقفـــات عـــلى الصبابـــة حبس

ولا يتسع المجال لايراد القصيدة بكاملها ، فهي نموذج حي معبر من أدبنا العربي ، كما لا يتسع المجال لدراستها فنكتفي بإيراد بعض الملاحظات السريعة عليها :

١ ـ تشعر حين تقرأ السينية بروعة موسيقاها الناتجة عن خفة البحر وجماله (الخفيف) وتلاؤمه مـع العواطف والمعـاني والألفاظ والروي المهـموس وهو السين وترداد الحروف المهمـوسة كالسين والصاد والتاء .

٢ ــ تشعر بتأثر الشاعر بالعظمة حين قدم لوصف الايوان ثم ما تعتم أن تأسى وتحزن حين تقرأ أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس وهــذا التجاوب النفسي بين ما يصفــه الشاعر وبين ما يصف ميزة فنية بحتة •

٣ ــ تشعر أن الشاعر يعجب بكل ما هو عظيم في الدنيا ولو كان من غير قومه فنراه هنا معجباً بالفرس فبكاهم أصدق بكاء ورثاهم أحر رثاء وهكذا الفن يسمو ليستحيل انسانية صرفاً •

٤ ــ وأخيراً تعجب من أن الشاعر يطرق في الأدب العربي فناً جديداً لــم يطرقه أحــد من قبله وهو رثاء الممالك الزائلة والآثار الباقية ، ولم يشر إليه قبل القرآن أحد فيقول الله تعالى « أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهــم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى » •

وننتقل الى عينية أبي الطيب المتنبي وهي القصيدة التي رثى بها أبا شجاع فاتك وفيها تحدث عن شعور الانسان حيال الآثار المتخلفة عن أصحابها فقال منها :

إني لأجبن عن فراق أحبــتي وتحسّ نفسي بالحمام فأشجع
ويزيدني غضب الأعادي قسوة ويلمّ بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى فيهــا وما يتوقــع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ؟ ما المصرع

تتخلّف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ويظهر أن أبا الطيب كان يحب القائد فاتكاً أبا شجاع حباً خالصاً قائماً على الاعجاب فهو يرثيه بقصيدتين يجعل منهما وسيلة إلى الابانة عما في نفسه من هموم ومحن وترى من خلالهما بعض النظرات الفلسفية فهو كما ترى يرى الحياة لا تصفو إلا للجاهل أو الغافل أما الشجاع الأبي فقلما تخطئه سهامها ونراه هنا معاني مظلمة قاتمة في نفسه حتى ليكاد يلقي سلاحه أمام عوادي الزمان لولا بقية من قوة يستمسك بها :

المجد أخسر والمكارم صفقة

من أن يعيش لها الهمام الاروع

والناس أنزل في مكانك منزلا

من أن تعايشهم وقدرك أرفع

٢ ــ وفي قوله : « أفلم يهد لهم ... » الآية فن المناسبة وهي على ضربين معنوية ولفظية والمعنوية هي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ فالآية موعظتها سمعية فختمها بأشد مناسبة معنوية بقوله « أفلا يسمعون » وقال في الآية التي موعظتها مرئية وهي آية السجدة : « أولم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » فقد ختمها بقوله : « أفلا يبصرون » لأن ذلك مما يتبين بالرؤية وما فوق هذه المناسبة مناسبة . ومن بديع ما ورد فيها شعراً قول القاضي الفاضل :

وبدر بأفلاك الخواطر طالع

وغصن بريحان العذار وريق

لئن بت في بحـــر من الفكر سابحـاً
فإنسان عيـــني في الدمـــــوع غريق

فالمناسبة في الشطر الاول في البدر والافلاك والطلوع وفي الشطر الثاني بين الغصن والريحان ووريق وفي الثالث بين البحر وسابحاً وفي الرابع بين إنسان العـين والدموع وغريق ففي كـل شطر من البيتين مناسبات عديدة ، وأما المناسبة اللفظيـة فهي دون رتبة المعنوية وهي الاتيان بكلمات متزنات وهي أيضاً على ضربين : تامة وغير تامة فالتامة تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غـير مقفاة فمن شواهد التامة من القرآن العظيم قوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون » ومن الشعر قول ابن هانىء الاندلسي :

وعوابس وقوابس وفوارس وكوانس وأوانس وعقائـل

ومن غير التامة قول ابن خلوف المغربي :

كالورد خداً والغزالة بهجة والغصن قداً والغزال مقلدا

وقد اجتمعت التامة والناقصة في قول أبي تمام :

مهـــا الوحـــش إلا أن هـــاتا أوانس
قنـــــا الخط إلا أن تلك ذوابـــــل

فبـين قنا ومها مناسبة لفظية تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة .

الفوائد :

النسخ في القرآن :

في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون » مبحث هام جدير بالتأمل وهو أن معظم المفسرين درجوا على القول إن هذه الآية منسوخة بآية القتال والصواب انها ليست منسوخة بل هي أمر بالصبر المحمود على كل حال وهو عدم الاضطراب ومساورة الجزع لما يقولون ولما يصدر عنهم من الأذية وليس فيها أية اشارة أو تلميح الى عدم القتال حتى يكون الامر بالقتال ناسخاً لها ٠

وموضوع النسخ في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة الصعبة ، والاختلاف حوله كثير وما علم في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين انهم كانوا يستعملون النسخ بإزالة المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء لا بازاء مصطلح الاصوليين فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الاوصاف من الآية بآية أخرى إما بانتهاء مدة العمل أو بصر الكلام عن المعنى المتبادر الى غير المتبادر ، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقياً أو تخصيص عام أو بيان الفارق بين المنصوص وما قيس ظاهراً عليه أو ازالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة فاتسع باب النسخ عندهم وكثر جولان العقل هنالك واتسعت دائرة الاختلاف ٠

أما المنسوخ باصطلاح المتأخرين فهو قليل جداً وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في الاتقان بتقرير مبسوط ، كما ينبغي ، بعض ما ذكره العلماء ثم حرر المنسوخ الذي فيه رأي المتأخرين على وفق الامام الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري

الاندلسي فعنده قريباً من عشرين آية ، وأتى في العصر الحديث الشيخ الامام محمد عبده فأنكر النسخ في القرآن وقال ان كل ما زعموا انه منسوخ يمكن تأويله كما رأيت في قوله تعالى « فاصبر على ما يقولون » وهو ظاهر في هذه الآية يطيح بالقول القديم ان الآيات المنسوخة تبلغ حوالي خمسمائة آية وهو قول ظاهر البطلان بالبداهة .